



كلية الدراسات العليا
معهد إبراهيم أبو نغد للدراسات الدولية

رسالة ماجستير بعنوان

العلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي
وأثرها على عملية السلام

**Russian-Palestinian Relations After the Collapse of the Soviet Union
and its Impact on the Peace Process**

مقدمة من الباحثة
أماني عبد الله أسمر

إشراف
د. أحمد مصلح

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية
من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

2011-2010

العلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي
وأثرها على عملية السلام

**Russian-Palestinian Relations After the Collapse of the Soviet Union
and its Impact on the Peace Process**

مقدمة من الباحثة
أماني عبد الله أسمر

تاريخ المناقشة
2011 / 2 / 28

لجنة المناقشة والإشراف

د. أحمد مصلح (رئيساً)

د. سمير عوض (عضواً)

د. عبد الرحمن إبراهيم (عضواً)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية
من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

2011-2010

لآقات الفلأطفنففة الرولفة بعء انهفار الآآءاء اللفوفففف
وأآرفها على عملفة السلام

**Russian-Palestinian Relations After the Collapse of the Soviet Union
and its Impact on the Peace Process**

مقءمة من البآآفة
أمانف عبء الله أسمر

آارفآ المناقشة
2011 / 2 / 28

لآنة المناقشة والإشراف

- ء. أحمد مصلآ (رففساً)
- ء. عبء الرحمن إبراهفم (عضواً)
- ء. سمفر عوض (عضواً)

الإهداء

إلى الغالية التي علمتني معنى الحياة والتضحية والفداء
إلى كل من ضحى لأجلها ودافع عنها
إلى التي احتضنتني ورعتني دوماً
إلى فلسطين

إلى الذي لازمني كظلي خلال فترات حرجة من حياتي راعياً وحامياً
إلى من زرع بداخلي حب التضحية والإيمان
إلى الذي منحني السعادة والenfوان
إلى الذي غمرني بالعطف والوئام
إلى الذي وضعني على هذا الطريق
إلى من أحببته دوماً وأبداً
أهدي هذا العمل

الشكر

أنتقدم بالحمد والثناء أولاً وأخيراً إلى المولى عزوجل
الذي أعانني على هذا العمل ووفقني في إنجازهِ
ومن ثم بالشكر والعرفان إلى من وقف بجانبني
لحظة بلحظة ولم يتخلَّ عني
لحظة

وبالشكر الجزيل إلى أستاذي ومشرفي على هذا العمل
د. أحمد مصلح وإلى عضوي لجنة النقاش
د. سمير عوض ود. عبد الرحمن الحاج إبراهيم
والشكر موصول إلى كل من مد لي يد المساعدة
سواء بتقديم معلومة
أو الوصول إليها

قائمة المحتويات

د.....	ملخص
و.....	Abstract
ح.....	المقدمة
ط.....	أهمية الدراسة
ي.....	أهداف الدراسة
ي.....	إشكالية الدراسة
ك.....	أسئلة الدراسة
ل.....	منهج الدراسة
ن.....	مراجعة الأدبيات (الدراسات السابقة)
ف.....	التعليق على الدراسات السابقة

الفصل الأول: العلاقات الفلسطينية الروسية في عهدي روسيا القيصريّة والاتحاد السوفيتي

1.....	المبحث الأول: العلاقات الروسية مع فلسطين التاريخية حتى العام 1948
1.....	مقدمة
2.....	أولاً: استخدام الدين مبرراً لتدخل روسيا القيصريّة في المنطقة
3.....	ثانياً: الحملات التبشيرية لروسيا القيصريّة في فلسطين
5.....	ثالثاً: الاهتمامات التاريخية لروسيا القيصريّة بفلسطين
6.....	رابعاً: دور روسيا القيصريّة في اتفاقيات سايكس – بيكو
7.....	خامساً: الثورة البلشفية والقضية الفلسطينية
8.....	سادساً: تأييد الشيوعية للحقوق الفلسطينية
10.....	سابعاً: التنافس السوفيتي – الأمريكي على النفوذ في فلسطين
12.....	ثامناً: الدعم السوفيتي لدولة إسرائيل
14.....	تاسعاً: التآرجح في موقف الاتحاد السوفيتي بين العرب وإسرائيل
18.....	عاشراً: موقف الاتحاد السوفيتي من قضية اللاجئين والقرار 194

المبحث الثاني: العلاقات الفلسطينية السوفيتية في ظل الحرب الباردة

21.....	مقدمة
21.....	أولاً: الاهتمام السوفيتي بالقضية الفلسطينية
25.....	ثانياً: القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة وموقف القطبين منها
26.....	ثالثاً: الموقف السوفيتي من القوى والفصائل الفلسطينية

- 27 رابعاً: الدعم السوفيتي لمنظمة التحرير الفلسطينية
- 30 خامساً: الإعلان السوفيتي – الأمريكي بشأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي
- 32 سادساً: الموقف من القضية الفلسطينية في عهد غورباتشوف

الفصل الثاني: العلاقات الفلسطينية مع روسيا الاتحادية

- 35 **المبحث الأول: العلاقات السياسية الفلسطينية – الروسية**
- 35 مقدمة
- 36 الإنقلاب على الشيوعية
- 37 أولاً: العلاقات الدبلوماسية الفلسطينية – الروسية
- 42 ثانياً: الدعم الروسي للسلطة الوطنية الفلسطينية
- 44 ثالثاً: العلاقة الروسية مع الفصائل الفلسطينية
- 45 رابعاً: علاقة روسيا مع حركة حماس
- 48 خامساً: الدعم الروسي للموقف الفلسطيني في المنظمات الدولية

- 55 **المبحث الثاني: الاتفاقيات الفلسطينية الروسية**
- 55 مقدمة
- 55 أولاً: اتفاقيات التعاون بين السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا الاتحادية
- 57 ثانياً: المساعدات المالية الروسية للسلطة الوطنية الفلسطينية
- 61 ثالثاً: التعاون الفلسطيني – الروسي في مجال صرف المساعدات

- 62 **المبحث الثالث: العلاقات الثقافية الفلسطينية الروسية**
- 62 العلاقات الفلسطينية – الروسية في الجانب الثقافي

الفصل الثالث: أثر العلاقات الفلسطينية الروسية على العملية السلمية

- 69 **المبحث الأول: محددات السياسة الروسية تجاه تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي**
- 69 مقدمة
- 70 أولاً: المحددات الداخلية
- 71 ثانياً: المحددات الخارجية
- 71 1. التأثير الأمريكي على السياسة الروسية
- 74 2. الشراكة الأمريكية – الإسرائيلية
- 75 3. العلاقات الروسية – الإسرائيلية ودور اللوبي اليهودي

4.	العلاقات الاقتصادية الروسية – الإسرائيلية.....	77
5.	التعاون العسكري – الأمني – الروسي الإسرائيلي.....	78
6.	المصالح الروسية في الشرق الأوسط والمنطقة العربية.....	83
المبحث الثاني: الدور الروسي في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية.....		
87	مقدمة.....	87
88	أولاً: الموقف الروسي من القضية الفلسطينية.....	88
88	ثانياً: السعي الفلسطيني للتعامل مع روسيا الاتحادية.....	88
90	ثالثاً: دعوة بوتين لعقد مؤتمر دولي للسلام في موسكو.....	90
92	رابعاً: التأييد الروسي للموقف الفلسطيني في مواجهة السياسات الإسرائيلية.....	92
94	خامساً: المواقف الروسية تجاه عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية.....	94
95	سادساً: عضوية روسيا الاتحادية في الرباعية الدولية.....	95
97	سابعاً: محدودية الدور الروسي في الرباعية الدولية.....	97
98	ثامناً: تجنب روسيا الاتحادية المواجهة مع الولايات المتحدة في الملف الفلسطيني.....	98
المبحث الثالث: مستقبل العلاقات الفلسطينية الروسية والدور الروسي في عملية السلام.....		
99	مقدمة.....	99
99	طبيعة الشراكة الفلسطينية – الروسية.....	99
101	مستقبل الدور الروسي في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية.....	101
108	الخلاصة.....	108
115	المراجع.....	115

ملخص

يتمثل موضوع الدراسة في العلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وأثرها على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، حيث سعت روسيا إلى استعادة شيء من التوازن على الساحة الدولية، وذلك من خلال لعب دور فاعل في الشرق الأوسط. وتبرز أهمية الدراسة في سعيها للوقوف على حقيقة العلاقة الفلسطينية الروسية وأثرها على عملية السلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. كما هدفت للوصول إلى إجابات على تساؤلات وعلامات استفهام كثيرة حول مستقبل الدور الروسي في الشرق الأوسط وتحديداً القضية الفلسطينية، وأي نوع من الآمال يمكن أن يُعلق ويُعول على هذا الدور لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ومدى تأثير ذلك في إيجاد نوع من العدالة ووقف الانحياز الأمريكي الدائم لصالح إسرائيل في ذلك الصراع، وفيما إذا كان من الممكن أن يُعول على هذا الدور ليمثل شراكة حقيقية مع الفلسطينيين تغير من موازين القوة التي تتحكم بالعملية السلمية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحده على الساحة الدولية.

وتتلخص مشكلة الدراسة بطرح سؤال رئيسي وهو: كيف تطورت العلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وكيف انعكس هذا التطور على دور روسيا في عملية السلام؟ وللإجابة على ذلك السؤال تم استخدام النظرية الواقعية والمنهج الوصفي التاريخي، والاعتماد على الوقائع التاريخية التي حكمت العلاقة الفلسطينية الروسية.

وتتضمن الدراسة ثلاثة فصول يتحدث الفصل الأول عن العلاقات الفلسطينية الروسية في عهدي روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي، فيما تناول الفصل الثاني العلاقات الفلسطينية مع روسيا الاتحادية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. أما الفصل الثالث فتطرق إلى أثر هذه العلاقات على العملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

وخلصت الدراسة إلى أن العلاقات الفلسطينية – الروسية مرت بعدة مراحل بدأت منذ عهد روسيا القيصرية، ثم مرحلة الثورة البلشفية التي أسست لقيام لإتحاد السوفيتي السابق عام 1917، تلا ذلك قيام دولة إسرائيل واعتراف الإتحاد السوفيتي بها وتأييده قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود. وفي المرحلة التي تلت حرب حزيران عام 1967 تبلورت علاقة جديدة بين الاتحاد السوفيتي ومنظمة التحرير الفلسطينية التي مثلت الفلسطينيين. ثم تلا ذلك العلاقة بين الفلسطينيين ممثلين بكيان جديد وهو السلطة الفلسطينية التي أقيمت عام 1994 ودولة روسيا الاتحادية التي ورثت الاتحاد السوفيتي بعد انهياره عام 1991. كذلك خلصت إلى أن هناك أسباباً عديدة تمنع الفلسطينيين من التعويل بالمطلق على الموقف الروسي لنصرة قضيتهم وحصولهم على حقوقهم المشروعة بإقامة دولتهم المستقلة. وأكثر ما ترتبط هذه الأسباب بعلاقة روسيا مع الولايات المتحدة وإسرائيل، والموقف الروسي على الساحة الدولية، حيث ليس من السهل على روسيا أن تلعب دور القطب العالمي الثاني في مواجهة القطب الأوحده وهو الولايات المتحدة. إلا أن الفلسطينيين لم يهملوا الدور الروسي في العملية السلمية وأبقوا على علاقة جيدة مع موسكو.

Abstract

The theme of the study, is to find out the reality of the relationship between Palestinians and Russians, and its impact on the peace process between Palestinian and Israeli sides.

The study aimed to give answers to questions about the future of Russia's role in the Middle East, particularly in the Palestinian issue, and any kind of expectations can be suspended and counted on the this role to end the Palestinian-Israeli conflict, and its impact in creating a kind of justice, and stop American bias lasting for Israel in that conflict, and whether it is possible to count on that role to create a true partnership with the Palestinians, which can change from the balance of power that control the peace process, which dominates by the United States, the sole superpower in the world.

The main problem of the study appears in asking a key question. It is how the Russian-Palestinian relations have evolved after the collapse of the Soviet Union, and how could such these relations reflect in the role of Russia in the peace process?

The study contains three chapters. The first chapter talks about the Russian-Palestinian relation in the time of the State of Tsarist Russia and the former Soviet Union.

The second charter talks about the relations between the Palestinians and Russia after the collapse of Soviet Union, while charter three talks about the relations between Palestinian National Authority and the State of the Russian Federation and its effect on peace process.

The study found that there are many reasons to prevent the Palestinians to rely absolutely on the Russian position to support their cause, and the most important reason is the relationship between Russia and the United States Of America and Israel. However, the Palestinians did not ignore Russia's role in peace process and have maintained a good relationship with Moscow.

المقدمة

العلاقات بين الدول والشعوب نوع من التعامل والتفاعل الاجتماعي عُرف منذ القدم ولا يزال قائماً وسيتواصل، بحيث لا يمكن لشعب أو دولة الانفصال أو الانعزال عن العالم ومحاصرة الذات وإلا كان المصير الاندثار. وللعلاقات بين الدول أشكال متنوعة، فهناك علاقات قوامها العوامل الاقتصادية أو السياسية أو التحالفات العسكرية، فيما هناك تحالفات بين دول ضعيفة ودول أقوى وتأخذ شكل التابع والمتبوع. والحقيقة أن غالبية العلاقات بين الدول تخضع للتغير والتبدل والقوة والفتور تبعاً لعوامل متعددة تملئها الظروف السياسية المحلية والإقليمية والعالمية والمصالح التي تهدف كل دولة لتحقيقها. وفي هذه الدراسة المتعلقة بالعلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، سيتم التطرق لعلاقة روسيا مع السلطة الفلسطينية وأثر هذه العلاقة على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية. فعلاقة الاتحاد السوفيتي سابقاً وعلاقة روسيا الاتحادية حالياً مع الفلسطينيين فيما يخص القضية الفلسطينية، شهدت تفاعلات محكومة في كلا العهدين للظروف الداخلية والعالمية. فقد كان الاتحاد السوفيتي قوة عظمى تشكل القطب الثاني في العالم، فيما تسعى روسيا الاتحادية لاستعادة جزء من هذا الوزن من خلال لعب دور فاعل في الشرق الأوسط. ويعتقد الفلسطينيون أن المحاولات الروسية لاستعادة شيء من هذا الوزن على الساحة الدولية قد يساعد على إيجاد شيء من التوازن في المنطقة ويحد من التحيز الأمريكي لصالح إسرائيل، في وقت تحتفظ روسيا بعلاقات مع إسرائيل، في إطار سياسة تعتقد أنها متوازنة وتخدم الجميع في المنطقة.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في توضيح حقيقة العلاقة الفلسطينية الروسية والدور الروسي في القضية الفلسطينية، وأهمية وفاعلية هذه العلاقة بالنسبة للطرفين. فهناك من يُعول على هذا الدور في حل الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين. فيما يرى آخرون أن روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم تعد قادرة على لعب أي دور في هذا المجال، وأن الولايات المتحدة هي التي أدارت دفة مؤتمر أوسلو. وكذلك معرفة ما إذا كانت العلاقة بين الطرفين الفلسطيني والروسي علاقة دولة تمد يد العون لسلطة أو لدولة في طور التكوين، شأنها شأن العديد من دول العالم التي تقدم المساعدات والمنح للفلسطينيين، أم أنها علاقة يمكن أن يُعول عليها الفلسطينيون لمساعدتهم في صراعهم من أجل استعادة حقوقهم المشروعة. كما تلقي الدراسة الضوء على الوقائع التاريخية التي تستعرض العلاقة الفلسطينية الروسية، وكيف يمكن استغلال الظروف لمنح روسيا الفرصة لدعم الفلسطينيين في المحافل الدولية وعل رأسها مجلس الأمن والجمعية العمومية، وتعميق العلاقة مع روسيا بما يسمح لها بأخذ دور فاعل على الساحة الفلسطينية، في إطار تعاون وثيق يظهر روسيا كطرف داعم للفلسطينيين. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في إمكانية تقديمها لنتائج واستخلاصات يمكن الاستفادة منها والاسترشاد بها في التعامل مع السياسة الروسية، التي تعتمد مبدأ التوازن وعدم الانحياز لأي من طرفي الصراع من المنظور الروسي، ومدى إمكانية الاستفادة من التقارب الروسي العربي والإسلامي، وكيفية استغلال ذلك بما ينعكس إيجاباً على العلاقة الفلسطينية الروسية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة للتعرف على حقيقة العلاقة الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ليس من حيث شكل هذه العلاقة فحسب، وإنما محاولة التوصل إلى حقائق تدعمها المعطيات التي رافقت هذه العلاقة، لتجيب على تساؤلات وعلامات استفهام كثيرة حول مستقبل الدور الروسي في الشرق الأوسط خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وأي نوع من الآمال يمكن أن يُعلق على هذا الدور، وذلك من خلال تحديد انعكاسات العلاقة الفلسطينية مع روسيا، والتطورات التي واكبت مسيرة هذه العلاقات وأثرها على عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتوضيح المحددات والعوامل التي كان لها تأثير في رسم هذه العلاقة. ومدى إمكانية استفادة الفلسطينيين من القوة الروسية في دعم مواقفهم خلال أي مفاوضات على طريق إنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والتوصل إلى اتفاق سلام في المنطقة.

إشكالية الدراسة

شهدت سياسة روسيا الخارجية تغيرات هائلة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، فلم تعد ذلك القطب الثاني في العالم الذي رعى مصالح حلفائه. وقد شهدت هذه السياسة التحرك باتجاهين مختلفين تمثلا في إقامة علاقات مع كل من الدول العربية من جهة ومع إسرائيل من جهة أخرى. ولعب دور في عملية السلام باعتبار روسيا أحد أعضاء اللجنة الرباعية المكلفة بمتابعة العملية السلمية الفلسطينية الإسرائيلية. إلا أن هذه السياسة التي أنتجت هذه

العلاقة لم ترقَ إلى مستوى الآمال العريضة للفلسطينيين، ومرد ذلك إلى عوامل عديدة في مقدمتها تفرد الولايات المتحدة بالهيمنة على العالم، كونها أصبحت القطب الأوحـد في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وارتباطها بعلاقة إستراتيجية مع إسرائيل وتَحكُّمها بملف العملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ناهيك عن المشاكل الداخلية التي عانت منها روسيا وعلى رأسها المشاكل الاقتصادية، والتي لا تجعل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على قمة أولويات سياستها الخارجية، وفيما يرى البعض أن الفلسطينيين يدركون الواقع الروسي، وأن تحركهم لاستدعاء الدور الروسي إنما يهدف إلى تحفيز أمريكا وإسرائيل للتحرك بجدية لمواصلة العملية السلمية، يرى آخرون أن روسيا بدأت باستعادة شيء من ثقلها على الساحة الدولية، مما يؤهلها لدعم الفلسطينيين خلال مفاوضاتهم مع إسرائيل. من هنا تتلخص إشكالية الدراسة بطرح سؤال رئيس وهو: ما هي طبيعة العلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وإلى أي مدى انعكست هذه العلاقة على دور روسيا في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية؟

أسئلة الدراسة

يتفرع عن السؤال الرئيس الذي لخص إشكالية الدراسة عدد من الأسئلة الفرعية ومنها:

1. هل يشير واقع العلاقة الفلسطينية الروسية إلى إمكانية لعب روسيا دوراً مركزياً في

عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية؟

2. إلى أي مدى يمكن أن تتطور العلاقة الفلسطينية الروسية لتصل إلى مستوى العلاقة

الأمريكية – الإسرائيلية الإستراتيجية؟

3. ما هي الأهداف التي يسعى الفلسطينيون لتحقيقها من علاقتهم مع روسيا؟

منهج الدراسة

تم البحث في هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي والتاريخي الذي يعني سرد الوقائع كما حدثت، وبواقعية تلتزم بذكر الحقائق كما هي ودون تدخل الباحث فيها. إضافة إلى الاسترشاد بالنظرية الواقعية بالإعتماد على الوقائع التاريخية التي حكمت العلاقة الفلسطينية الروسية. حيث رأت الباحثة أن هذه النظرية يمكنها تفسير طبيعة العلاقات الفلسطينية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتراجع المبادئ والأيديولوجيات بما يخدم المصالح الروسية. "فالنظرية الواقعية تركز على الطابع الصراعى للعلاقات بين الدول، وتسعى لدراسة وفهم سلوكياتها والعوامل المؤثرة في علاقاتها مع بعضها البعض. ومن أهم مسلماتها أن السياسة لا تحددها الأخلاق أو القانون وإنما القوة والمصلحة، وأن النظرية السياسية تنتج عن الممارسة السياسية وتأمّل التاريخ، وأن هناك عوامل ثابتة لا تتغير تحدد السلوكيات الدولية".¹

وتفترض المدرسة الواقعية أن الشؤون الدولية عبارة عن صراع من أجل القوة بين دول تسعى لتعزيز مصالحها بشكل منفرد، وهي بذلك تحمل نظرة تشاؤمية حول آفاق تقليص

1. جمال سلامة علي، السياسة بين الأمم- النظرية السياسية وقضايا الفكر السياسي- (بيروت: دار النهضة العربية، 2005)، 81.

النزاعات والحروب، غير أنها ساعدت على تزويد الدارسين بتفسيرات مهمة وقوية لكثير من الظواهر الدولية مثل الحروب، والتحالفات، والعقبات أمام تعاون الدول. كما أن تركيزها على النزعة التنافسية كان متناسباً جداً مع طبيعة النظام الدولي خلال الفترة التي ظهرت فيها والتي كان جوهرها الصراع السوفيتي – الأمريكي.

ولعل من الظواهر المعاصرة في النظام الدولي التي نجح فيها المنهج الوصفي التاريخي والنظرية الواقعية، تفسير ظاهرة عودة روسيا إلى الساحة الدولية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث اندفعت روسيا إلى لعب أدوار متقدمة في عدد من القضايا على الساحة الدولية. فقد رأت أن مصلحتها القومية تفرض عليها لعب دور افتقدته بزوال الاتحاد السوفيتي، فسعت للاشتراك في رعاية العملية السلمية في الشرق الأوسط، وقدمت الدعم المادي والسياسي للفلسطينيين. وكل ذلك لا يخرج عن نطاق النظرية الواقعية التي ستحاول هذه الدراسة الاستفادة من مقولاتها في تفسير طبيعة العلاقات الفلسطينية الروسية وتطوراتها،¹ في إطار الفهم الواضح لسياسة الدول الخارجية التي تتضمن مجموعة من الأهداف وتعبئة بعض الموارد المتاحة لتحقيق تلك الأهداف، فالسياسة الخارجية ليست مجرد رد فعل آلي للبيئة الخارجية، ولكنها عملية واعية تتطوي على محاولة للتأثير على البيئة الخارجية أو على الأقل التأقلم مع تلك البيئة لتحقيق مجموعة من الأهداف.²

¹ أوكسانا أنتونينكو، السياسة الروسية في الشرق الأوسط، صحيفة الشرق الأوسط (4-2-2008) العدد 11448، www.aawsat.com

² محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998)، 23.

مراجعة الأدبيات (الدراسات السابقة)

في نظرة أولية على عدد من الأدبيات التي تناولت العلاقات الفلسطينية الروسية، تظهر أبرز سمات الإستراتيجية الروسية تجاه المنطقة العربية وفلسطين كجزء من هذه المنطقة، وهي الإستراتيجية التي اتسمت بالمبادرات الإيجابية في الفترة التي تولى فيها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الحكم، وذلك من خلال محاولات روسيا استمالة البلدان العربية في قضايا ذات اهتمام مشترك، وإيداء الرغبة في التوسط لحل الأزمات في المنطقة ومنها قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، خصوصاً بعد أن أصبح الغرب على مشارف روسيا الاتحادية باحتلاله أفغانستان والعراق، وهذا ما أظهرته هذه الأدبيات التي سيتم استعراض بعض جوانب ما تناولته في هذا الصدد.

في دراسته "موسكو وعملية السلام في الشرق الأوسط" التي صدرت عام 2007، ركز الباحث الروسي "باكلانوف" على دعوة روسيا الاتحادية لعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط، أملاً في التوصل إلى اتفاق تاريخي للسلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إلا أن هذا المؤتمر لم ينعقد. وأرجع الباحث السبب ليس لرغبة أمريكية إسرائيلية في عدم عقد هذا المؤتمر، وإنما لافتقار الحلول التي طرحها المعنيون بعملية السلام لإنهاء الصراع إلى الأسس الصحيحة التي يجب أن تبنى عليها هذه العملية. وخلال المنهج التحليلي الذي اتبعه الباحث، توصل إلى أن بناء الثقة بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي أمر غير ممكن، وأن التيارات السياسية وأوساط النخب العربية والإسرائيلية ليس لها

الإرادة للتوصل إلى السلام. واستعرض الباحث في دراسته العوامل والأسباب التي أدت إلى تشكيل هذا الوضع، حيث إن الأسس القانونية الدولية لعملية السلام مختصرة ومطاطية واعتمدت على القرارين 242 ، 238 فقط، وهما قراران لا يتضمنان صياغة لمبدأ "الأرض مقابل السلام". وخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن السلام في الشرق الأوسط لا يمكن أن يتحقق إلا بحل القضية الفلسطينية.

أما الباحث "بلال الشوبكي" فقد تطرق في دراسته "سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية" التي نشرت عام 2008 إلى الدور الروسي في حل القضية الفلسطينية. وحدد مشكلة بحثه بأن هذا الدور خضع لعدة محددات، على رأسها تحجيمه في إطار شكلي وتابع للإدارة الأمريكية. وأنه تم إدراج روسيا الاتحادية ضمن الدول الراعية للعملية السلمية ولم تلعب فيها أي دور منفرد، وبقي الدور الروسي مقتصرًا على لعب دور الوسيط في هذه العملية إلى أن اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000. وظهر خطة خريطة الطريق حيث تم استيعاب روسيا كمشرفة على تنفيذ الخريطة في إطار عضويتها في اللجنة الرباعية.

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي الواقعي حيث أدرج تحليلًا للسياسة الروسية الجديدة تجاه القضية الفلسطينية، والتي بدأت في العام 2005 وكان لها أثر مهم على هذه القضية. هذه السياسة دلت عليها زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الأراضي الفلسطينية كمحاولة لعب دور مستقل عن التوجه الأمريكي في المنطقة. ودعوة روسيا لعقد مؤتمر

دولي للسلام ودعمها للسلطة الوطنية الفلسطينية. وقد خلص الباحث إلى عدد من الاستنتاجات، منها أن سياسة روسيا الخارجية اتسمت بعدم الثبات تجاه منطقة الشرق الأوسط بما فيها القضية الفلسطينية. وأن مصالح روسيا في المنطقة كانت المُحدد الأبرز لهذه السياسة، التي لعبت عوامل عديدة على تقييدها وأنه بالرغم من عدم ثباتها من حيث درجة تركيزها أو حدتها، إلا أنها اتسمت بطابع المحافظة على شكل من العلاقات مع جميع الأطراف المعنية في المنطقة.

ويذكر الباحث "تورهان الشيخ" في دراسته "منطلقات وحدود الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط" الصادرة عام 2010 أن المتتبع للسياسة الروسية في المنطقة، يلمس تغيراً ملحوظاً فيها مقارنة بما كانت عليه خلال عهد الاتحاد السوفيتي، وخلال حقبة التسعينيات في ظل قيادة الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين، حيث أصاب روسيا الاتحادية انهيار اقتصادي وتدهور في مؤسسات الدولة والقيادة الروسية، مما أضر على المنطقة العربية، وتراجع مكانتها في أولويات السياسة الروسية. إلا أن هذه السياسة وبعد عقد من التخبط والسكون في فترة التسعينيات، شهدت تفعيلاً ملحوظاً وعادت روسيا لمحاولة لعب دور فاعل، واتخاذ مواقف واضحة في العديد من القضايا الدولية والإقليمية.

وإستخدام الباحث الأسلوب والمنهج التحليلي التاريخي، حيث أوضح أن هناك حدوداً للدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، بحيث لا يجب توقع دور لروسيا الاتحادية يشبه ذلك

الدور الذي كان يلعبه الاتحاد السوفيتي السابق. وأرجع ذلك إلى اختلاف المقومات الروسية عن تلك التي كانت متاحة في عهد الاتحاد السوفيتي. وأهم من ذلك اختلاف رؤية القيادة الروسية للدور الروسي دولياً وإقليمياً، وربط هذا الدور بالمصالح الروسية، وانطلاق هذه الرؤية من منظور تعاوني وليس تنافسي مع الولايات المتحدة، وأن هذا هو جوهر الخلاف بين رؤية القيادتين الروسية والسوفيتية التي كانت تهيمن عليها الاعتبارات الأيديولوجية ومقتضيات المنافسة العالمية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

التعليق على الدراسات السابقة

تناولت الدراسات التي سبقت الإشارة لها العلاقة التاريخية بين روسيا وفلسطين، وعلاقة الاتحاد السوفيتي السابق مع الفلسطينيين زمن الحرب الباردة، والانقلاب الذي حصل في طبيعة هذه العلاقات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وركزت معظم الدراسات التي تناولت العلاقات الفلسطينية الروسية على العوامل التي حدت من قدرة روسيا على لعب دور فاعل في قضية الصراع العربي الإسرائيلي مقابل الدور الأمريكي. وأجمعت على تفرد الولايات المتحدة في الهيمنة على القرارات المتعلقة بالعملية السلمية. وتفردا مع إسرائيل في فرض سياسة مشتركة تخدم مصالح الطرفين، دون أخذ الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بعين الاعتبار. إلا أن هذه الدراسات لم تُشير بوضوح إلى أية اقتراحات أو تصورات من شأنها مساعدة روسيا على استعادة ولو جزء من فاعليتها على الساحة الدولية والتي افتقدتها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وأوضحت الدراسات حقيقة أن

الولايات المتحدة ليست العامل أو القوة الوحيدة التي تحول دون لعب روسيا دوراً محورياً في الشرق الأوسط فيما يتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وإنما مصالح روسيا التي حكمتها لإقامة علاقات متينة مع إسرائيل، من منطلق عدم التحيز لطرف دون آخر، ولم تتطرق الدراسات إلى الدوافع المنطقية التي يجب أن توجه السياسة الروسية بهذا الخصوص، كي تفرق بين الظالم والمظلوم وأن لا يحكمها مبدأ عدم الانحياز لطرف دون آخر، في معادلة طرفا الصراع فيها قوي وضعيف. بل أوجدت لها المبرر لاتخاذ مثل هذه السياسة، ولم تقدم أي وجهات نظر يمكن أن تساعد روسيا على اتخاذ موقف مغاير بهذا الشأن، سواء أخذت بها روسيا أم لم تأخذ. إلا أن الدراسات السابقة أجمعت على أن الوقت لم يحن بعد لتلعب روسيا الاتحادية الدور الذي كان يلعبه الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط. وإن كانت قد فتحت قنوات تواصل وعلاقات تجارية وثقافية مع دول المنطقة. إلا أنه يمكن القول إنه بات واضحاً أن الكرملين ومنذ انتخاب الرئيس بوتين بدأ يتبع نمطاً جديداً من السياسة الخارجية يختلف عن النمط السوفيتي، ويتسم بقدر أكبر من التصلب في الرأي وأن هذا التحول صاحبه بل وربما تسبب في ظهوره، حدوث تغيير في الفكر الاستراتيجي للصفوة الروسية، كان من شأنه ظهور توجهات مختلفة لصانعي السياسة الروس إزاء العناصر الرئيسية للسياسة الخارجية للبلاد والمستجدات والقضايا على الساحة الدولية ومنها القضية الفلسطينية.¹

¹ سفيان ملوكي، التوجهات المختلفة في الفكر الاستراتيجي الروسي (الجزائر: جامعة بوزيايف، 2008)، 43.

الفصل الأول

العلاقات الفلسطينية الروسية

في عهدي روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي

المبحث الأول: العلاقات الروسية مع فلسطين التاريخية حتى العام 1948

مقدمة

تعود علاقة روسيا بفلسطين أو بالأرض المقدسة إلى زمن بعيد، فقد كانت الرحلة الروسية الأولى إليها زمن الحروب الصليبية، حيث قام الأسقف دانييل ورجل الدين فالارم بزيارة إلى فلسطين، زارا خلالها مدن القدس والناصره وبيت لحم ويافا والجليل وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية. وفي القرون التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية، ومنذ اعتناق الروس للديانة المسيحية زادت علاقاتهم بالشرق. وظهر ذلك بوضوح في المؤلفات الروسية التي تعود إلى ما قبل عهد بطرس الأكبر قبل العام 1725م، والتي تصف مسيرة الحجاج الروس إلى الأرض المقدسة.¹ وفي الفترة ما بين عامي 1339 و1853م قام العديد من الدبلوماسيين والعلماء ورجال الدين والأساقفة الروس بزيارات للأرض المقدسة، بحكم أن روسيا القيصرية² كانت تربطها بفلسطين التاريخية روابط دينية. ومن هؤلاء الكاتبان أن مورافيوف ونيقولاي غوغول، والفنان بالينوف، والأرشمندريت باريفيري أوسبينسكي، والشاعر جوكوفسكي الذي اهتم بفتح البعثة الدينية الروسية في القدس، والمؤرخان كونداكوف وقسطنطين بازييلي.³ وبعد عهد بطرس الأكبر أخذت الإمبراطورية الروسية بالتوسع والانتشار. وبدأت كغيرها من الدول الأوروبية العديدة تزاوم وتتافس للسيطرة على الدولة العثمانية لتقسيمها فيما بينها، وبذلك أصبحت فلسطين خيرها من

¹ جورج كتن، العلاقات الروسية العربية في القرن العشرين وأفاقها (أبو ظبي: منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2001)، 131.

² روسيا القيصرية: هو الاسم الرسمي للدولة الروسية في الفترة ما بين اتخاذ إيفان الرابع للقب القيصر عام 1547 وحتى قيام بطرس العظيم بإنشاء الإمبراطورية الروسية عام 1721، وأصبحت روسيا إمبراطورية كبرى ومعترف بها في كافة أنحاء أوروبا والعالم الغربي في عهد بطرس الأكبر وتحديداً بعد انتصارها على السويد في العام 1721.

³ نيقولاي ليسافوي، "فلسطين وبلاد الشام في وثائق وزارة الخارجية الروسية- روسيا في الأرض المقدسة"، تلخيص عمر محاميد، مجلة الشرق الأوسط، عدد 8215 (2001): 111.

دول الشرق، ذريعة لتدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، علماً بأن فلسطين وقعت تحت الحكم العثماني عام 1516 وبقيت تابعة للدولة العثمانية لمدة أربعة قرون، وأصابها ما أصاب الإمبراطورية العثمانية من ضعف وانحطاط وتخلف.¹

أولاً: استخدام الدين مبرراً لتدخل روسيا القيصرية في المنطقة

اتخذت دبلوماسية روسيا القيصرية من الستار الديني وحماية الحجاج الروس والمسيحيين الأرثوذكس ذريعة لتقوية نفوذها في الدولة العثمانية. وكان القيصر يعتبر نفسه حامي الأرثوذكس من العثمانيين في الأراضي المقدسة.² وفي عام 1824م قدم النبيل الروسي نيسلرودي ف.ك. تقريراً مفصلاً حول معاناة الحجاج الروس إلى فلسطين، وصف فيه وبإسهاب أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق، مشيراً إلى الأحوال الاقتصادية الصعبة التي تعاني منها الكنيسة. وبناءً على ذلك قررت روسيا إرسال موفد عن الهيئات الدينية الروسية الرسمية إلى فلسطين، وتحديدًا إلى القدس، على أن يحمل أصحاب هذه البعثة صفة الحجاج وليس الصفة الدبلوماسية.³ ونتيجة لزيادة الصراع بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية تم توقيع العديد من الاتفاقيات بين الطرفين، من ضمنها اتفاقية كونريج عام 1774 بين الإمبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية التي تضمن أحد بنودها نصاً حول حماية الحجاج الروس ورعايتهم في فلسطين.⁴ وبموجب هذه الاتفاقية استغلت روسيا الامتيازات الممنوحة لها من الدولة العثمانية، وقامت بتعيين وإيفاد قناصل لها إلى جميع

1. عصام ارشيدات وآخرون، دراسات في القضية الفلسطينية (عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع، 1992)، 16.

2. arbsys.net/vb/index.php/showthread.php1958.

3. عمر محاميد، صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية- الفلسطينية في فلسطين بين أعوام 1882-1914 (الطبعة: مركز إحياء التراث العربي، 1988)، 32.

4. ليسافوي، "فلسطين وبلاد الشام"، 111.

المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانية. وأنشأت أول قنصلية لها في القدس عام 1858.¹ ورأت روسيا القيصرية في الدولة العثمانية العدو الرئيس لها وخاضت معها العديد من الحروب ومنها حرب القرم عام 1853 التي شنتها بذرائع مختلفة، منها تحرير الشعوب البلقانية وحماية المسيحيين الأرثوذكسيين الذين يخضعون للسيطرة العثمانية² وبذلك أخذت الأملاك الروسية بالتوسع في الإمبراطورية العثمانية. لذا يمكن القول بأن الصراع على الأماكن المقدسة بحجة حماية الطوائف المسيحية ظهر منذ القدم وازداد بعد ضعف الدولة العثمانية وتدخل الدول الأوروبية ومن ضمنها روسيا القيصرية في الشؤون الداخلية لمناطق الشرق.

ثانياً: الحملات التبشيرية لروسيا القيصرية في فلسطين

في نيسان من العام 1843 قام الأرشمندريت الروسي باريفيري أوسبينسكي بزيارة استشرافية لفلسطين، ومنح اهتماماً للمصادر التاريخية التي تتعلق بالأدب المسيحية، وعمل على تقوية نفوذ العرب الفلسطينيين في الكنيسة الأرثوذكسية بهدف كسب تأييدهم لها. وبقي أوسبينسكي فترة طويلة في الأرض المقدسة اهتم خلالها بالشؤون الروسية، ودعا حكومته إلى إرسال بعثة تبشيرية دينية إلى فلسطين، وكان الهدف من وراء ذلك فتح قنصلية لتمثيل روسيا في المنطقة. في العام 1858 تولى الأرشمندريت أوسبينسكي رئاسة

1. جهاد صالح، روسيا وفلسطين- العلاقات الروحية والثقافية من القرن التاسع الميلادي إلى بداية القرن العشرين- (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، 2006)، 38.
2. عمر محاميد. فلسطين- روسيا، ألف عام من العلاقات الأدبية الثقافية- فكرة فلسطين في الثقافة والأدب الروسي- القرن العاشر-القرن العشرين- الرحلة الروسية إلى فلسطين (القدس: المطبعة العربية الحديثة، منشورات الجامعة، 2008)، 246.

البعثة التبشيرية إلى فلسطين.¹ وخلال فترة تواجده فيها زار العديد من المدن والقرى الفلسطينية، وألف كتاباً دون فيه يومياته وسيرة حياته طيلة فترة تواجده في فلسطين أسماه "كتاب عن حياتي"² تحدث فيه عن حياة الفلسطينيين وعاداتهم وتقاليدهم مبدياً تعاطفه معهم. وأنشأ لجنة تختص بدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية في فلسطين، وكان لهذه اللجنة دور في إنشاء مؤسسات روسية في عدد من المدن والبلدات كانت مهمتها الحفاظ على المصالح الروسية في فلسطين.

ونتيجة ذلك كله تم إنشاء وتأسيس جمعية روسية – فلسطينية مستقلة، الهدف المبطن منها تحقيق أكبر فائدة للسياسة الروسية في منطقة الشرق بوجه عام، وتقوية نفوذ روسيا القيصرية في فلسطين بوجه خاص، ويعتبر تاريخ 21 أيار من العام 1882 تاريخاً رسمياً للإعلان عن تأسيس تلك الجمعية،³ التي صبت جُلَّ اهتمامها على الدراسات والأبحاث التي تتعلق بالشؤون الفلسطينية، ومن ضمنها دراسة شاملة لكل جوانب الحياة في فلسطين، كما اهتمت بمساعدة الحجاج الروس من خلال شراء الأراضي والأملاك العثمانية في فلسطين وتحديدًا في مدينة القدس،⁴ خاصة بعد أن أصدرت الدولة العثمانية التي باتت تُعرف بالرجل المريض بسبب ضعفها في مختلف المناحي، فرماناً قضى بمنح تسهيلات للدول الأوروبية ومن بينها روسيا القيصرية لشراء أراض وأملاك في فلسطين. ففي عام 1853 قال القيصر الروسي للسفير البريطاني في روسيا واصفاً ضعف الدولة العثمانية "بين أيدينا رجل مريض، رجل مريض جداً، وسوف يكون حظنا تعيساً إذا ضاع

1. محاميد، صفحات من تاريخ مدارس الجمعية، 34.

2. محاميد، فلسطين - روسيا، 64.

3. المرجع السابق، 238.

4. محاميد، صفحات من تاريخ مدارس الجمعية، 34.

هذا الرجل من بين أيدينا ذات يوم، وبخاصة إذا لم نكن قد اتخذنا الإجراءات الضرورية"¹، بعد ذلك قامت روسيا بشراء الكثير من الأملاك لبناء الكنائس والأديرة للحجاج الروس، والعديد من المؤسسات الروسية التعليمية والتثقيفية وغيرها، كون هؤلاء الحجاج إضافة إلى أفراد الطوائف الأرثوذكسية كما رأى وادّعى العديد من الروس الذين زاروا فلسطين يعانون ظروفاً وأوضاعاً صعبة ومحزنة وقاسية، وأن هذه الجمعية أنشئت لتحسين أوضاعهم وظروفهم، واهتمت الجمعية أيضاً بتاريخ فلسطين القديم والحديث، وأغنت المكتبات الروسية بالأبحاث والمؤلفات التي تُعتبر مراجع مهمة للباحثين الروس في شؤون الشرق وفلسطين، واعتُبر تأسيسها نقطة انطلاق وتحول في التاريخ الفلسطيني الروسي.

ثالثاً: الاهتمامات التاريخية لروسيا القيصرية بفلسطين

يعود اهتمام روسيا القيصرية بدول ومناطق شرق البحر الأبيض المتوسط ومن ضمنها فلسطين لعاملين مهمين، الأول جغرافي سياسي اقتصادي، حيث أدركت أهمية السيطرة على مضائق الدردنيل والبسفور في البحرين الأسود والأبيض المتوسط. واعتبرت أن هذه البلدان توفر ممراً إلى البحر الأبيض المتوسط، يربط روسيا بالشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية وبلدان آسيا وإفريقيا، وأن أي تهديد يأتي من هذه المنطقة يتسبب بالخوف والقلق في روسيا القيصرية.² أما العامل الثاني فكان دينياً وقومياً، حيث إن روسيا القيصرية سعت إلى ترسيخ أقدامها في فلسطين تحت ذريعة حماية المسيحيين الروس والطوائف

1. صالح، روسيا وفلسطين، 27.

الأرثوذكسية الخاضعة للسيطرة العثمانية، والسيطرة على الولايات العثمانية لتوسيع نفوذها السياسي والاقتصادي والإقليمي المنافس للدول الأوروبية الكبرى. وبالتالي فإن أهدافها بالدرجة الأولى كانت استعمارية بحثة بحجج وذرائع دينية وبغطاء تبشيري.

رابعاً: دور روسيا القيصريّة في اتفاقيات سايكس – بيكو

قامت بريطانيا وفرنسا بوضع اتفاقية بينهما عرفت باتفاقية سايكس بيكو¹ عام 1916، صاغها كل من مارك سايكس الإنجليزي وجورج بيكو الفرنسي، وتنص على تقسيم دول المشرق العربي بينهما. وتوجه كل من سايكس وبيكو إلى روسيا وتحديدًا إلى بطرسبرج لإطلاع حكومة روسيا القيصريّة على مشروعها باعتبار روسيا طرفاً ثالثاً في الاتفاقية، وتم الإتفاق على تحديد الأجزاء من الدولة العثمانية التي ترغب كل دولة من الدول الثلاث السيطرة عليها. وتضمن أحد بنودها حصول روسيا على القسطنطينية والأراضي الواقعة حول مضيق البوسفور، وجزء كبير من شرق الأناضول بجوار حدود روسيا القيصريّة،² التي وافقت على الاتفاقية مقابل اعتراف بريطاني فرنسي بالحق الروسي في ضم مناطق محددة في آسيا الصغرى فور انتهاء الحرب العالمية الأولى. ووافقت كل من بريطانيا وفرنسا على مطالب روسيا مقابل اعترافها بالحق البريطاني الفرنسي بالممتلكات العثمانية الآسيوية على أن تخضع الأماكن الإسلامية المقدسة والجزيرة العربية لحكومة إسلامية مستقلة. فيما أعلن وزير الخارجية الروسي سazanوف أن بلاده لن تترك مناطق القدس

1. إتفاقية سايكس بيكو: ظلت إتفاقية سايكس-بيكو سراً لا يدري به العرب، إلى أن نشرته الحكومة السوفيتية في روسيا بعد الثورة الشيوعية سنة 1917. وعندما سارعت بريطانيا إلى طمأنة العرب إلى أن المعاهدة أصبحت ملغاة بعد انسحاب روسيا من الحرب وانضمام العرب إلى جانب الحلفاء.

2. ارشيدات وآخرون، دراسات في القضية، 31.

والجليل وطبريا والأردن تحت حماية غير أرثوذكسية. وكان ذلك في نيسان عام 1916 وتبادلت الأطراف الثلاثة المذكرات التي تم فيها تحديد حصة كل دولة من الممتلكات العثمانية،¹ وسميت الاتفاقية فيما بعد باتفاقية سايكس - بيكو - سazanوف عام 1916.

خامساً: الثورة البلشفية والقضية الفلسطينية

يعتبر شهر تشرين الثاني عام 1917 نقطة تحول في تاريخ دولة روسيا القيصرية التي انتهت في ذلك التاريخ على أثر قيام الثورة البلشفية² أو ما يعرف بثورة البلاشفة أو الثورة الروسية، وكانت قواعد تلك الثورة تحمل ثلاثة محاور، السلم، والأرض وإعلان حقوق شعب روسيا، وترأسها فلاديمير لينين رافعاً شعار المبدأ الماركسي "إن شعباً يظلم شعباً أخرى لا يمكن أن يكون حراً"³، فجاءت هذه الثورة لتُحدث تغييراً جذرياً في تاريخ العالم الأوروبي بل الغربي أجمع، وتحولت إمبراطورية القيصرية أو ما عرف بروسيا القيصرية إلى ما يسمى بالاتحاد السوفيتي، الذي قام على فكر أيديولوجي جديد، وأصبح قوة عظمى تُزاحم الولايات المتحدة الأمريكية على الزعامة العالمية.⁴ فزعيم هذه الثورة كان يرى "أن ازدهار روسيا الاقتصادي وتطورها السريع يتطلبان تخليص البلاد من طغيان الروس على الشعوب الأخرى"⁵، رافعاً شعار حق تقرير المصير وحرية الانفصال للشعوب

1. حسن عبد الرحمن أبو دية، زلزال فلسطين 1798-1945 (رام الله: 1998)، 12.

2. البلشفية: مشتقة من كلمة البلاشفة التي تعني بالروسية الكثرة أو الأكثرية، وهو الاسم الذي عرف به أتباع لينين في روسيا حيث كانوا يشكلون الأكثرية في حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي التي تسعى للحل الثوري وقد أطلق هذا التعبير على عام 1903.

3. كتن، العلاقات الروسية العربية، 19-20.

4. مجموعة من المؤلفين، النار والجليد- الإمبراطورية الحمراء من المهد إلى اللحد- 1917-1992 (بيروت: دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، 1992)، 19-7.

5. كتن، العلاقات الروسية العربية، 20.

الراغبة في ذلك. وفضلت تلك الشعوب الانضمام إلى الاتحاد الفيدرالي السوفيتي،¹ وقد قلبت هذه الثورة الأوضاع الداخلية والخارجية على حد سواء. فسارعت على المستوى الخارجي إلى إلغاء جميع المعاهدات والاتفاقيات التي كانت قد وقعتها روسيا القيصرية مع حلفائها، وفضحت اتفاقية سايكس بيكو لتُظهرَ للعرب كَذِبَ الوعود الإنجليزية لهم. ومن منطلق مبادئ الثورة البلشفية تبلورت مواقف مؤيدة للقضية الفلسطينية. فقد دعا زعيمها إلى منح شعب فلسطين حق تقرير مصيره بنفسه. وكان لهذه الثورة تأثيرها الكبير في نشوء وتصعيد وتطور حركات التحرر الوطنية العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص.

سادساً: تأييد الشيوعية للحقوق الفلسطينية

بالعودة إلى فترة نشوء الإتحاد السوفيتي برزت مواقف روسية فيما يتعلق باليهود فالزعيم الروسي لينين زعيم الثورة البلشفية ومؤسس الإتحاد السوفيتي، والذي كانت له روابط غير مباشرة بفلسطين كان يهاجم القومية اليهودية، ويعتقد بأن كل من يتبنى بصورة مباشرة أو غير مباشرة أي آراء أو شعارات للثقافة القومية اليهودية مهما كانت نواياه حسنة فإنه عدو للبروليتاريا.² واعتبر لينين الصهيونية في جوهرها خاطئة ورجعية بصورة مطلقة، وأن فكرة القومية اليهودية ذات صفة رجعية ضارة لا بالنسبة لمعتنقيها

1. مجموعة من المؤلفين، النار والجليد، 22.

2. arbsys.net/vb/index.php/showthread.php1958

البروليتاريا (Proletariat): هو مصطلح لاتيني (proletarius) ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب البيان الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز يشار فيه إلى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي إلى اقتصاد احتكاري، ويقصد ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي مقابل أجور قليلة وليس من أرباح رأس مال ما يملكونه وهي الطبقة الكادحة.

فحسب، بل كذلك للذين يحاولون خلق انسجام بينها وبين الأفكار الاشتراكية،¹ وعكس ذلك كان ينظر إلى الانتفاضات الفلسطينية في عامي 1929 و1936،² على أنها حركات ثورية تقدمية، كونها جزءاً من حركات التحرير الوطني،³ حيث كان أحد مبادئ الثورة الشيوعية حق تقرير المصير ودعم حركات التحرر الوطني، وكانت الحكومة السوفيتية هي من فضح ما يعرف باتفاقية سايكس - بيكو، وعارضت مبدأ الإنتداب وكل ما يتعلق بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. ورأت أن هذا الوطن سيكون لصالح الإمبريالية الغربية. "واستنكرت التعاون البريطاني الصهيوني ووصفت هجرة اليهود إلى فلسطين بأنها هروب من صراع الطبقات، وأن حل مشكلة اليهود يكمن في تمثيلهم بمجتمعاتهم"،⁴ وبتاريخ 1919/12/28 نشرت المفوضية المؤقتة لشؤون القوميات في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية بياناً أكدت فيه "أن الصهيونيين يحاولون إزاحة العرب عن فلسطين ويستعدون لإنشاء دولة يهودية لهم فيها". أما الكومنترون⁵ فقد دعا إلى التمرد من أجل منح الشعوب حق تقرير المصير، ففي مؤتمره الثاني الذي عقد بتاريخ 1920/7/28 أدان الصهيونية ومبادئها وسياستها تجاه فلسطين. وأصدر بياناً أعلن فيه أن الغرب قدم العرب الفلسطينيين قرباناً للأقلية اليهود في فلسطين لإقامة دولة لهم فيها،⁶ وفي العام 1919 اتخذ الحزب الشيوعي السوفيتي قراراً بوقف نشاطات الحزب الصهيوني في الاتحاد السوفيتي

1. كتن، العلاقات الروسية العربية، 24.

2. انتفاضة البراق عام 1929: اندلعت إثر الاعتداءات اليهودية على المقدسات في القدس وشملت المدن والقرى الفلسطينية كافة ولا سيما صفد و الخليل

3. وانتفاضة 1936: اندلعت بسبب سياسة بريطانيا المشجعة والراعية للإستيطان الصهيوني واستمرارها في سياسة تهويد فلسطين فقامت إثر ذلك ثورة ضد الاستعمار البريطاني مباشرة، شملت كل فلسطين وانخرط فيها معظم أفراد الشعب الفلسطيني.

4. محمد نصر مهنا، مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي 1945-1967 (مصر: دار المعارف، 1979)، 122.

5. الفرع السابق، 118.

6. الكومنترون: هو الاسم الذي يُطلق على الشيوعية الدولية وهو تنظيم أنشأه لينين عام 1919 كتجمع للأحزاب الشيوعية في العالم ولعب الاتحاد السوفيتي القوة القائدة الرئيسية فيه ليضمن سيطرته وسيطرة الحزب الشيوعي الروسي على الحركة الشيوعية العالمية وكان الجناح الدولي للاتحاد السوفيتي، وله أثر كبير في نشر الشيوعية في العالم ويطلق عليه مؤسسة الاممية الشيوعية الثالثة.

6. 1958.php/showthread.php/vb/index.php/ arbsys.net

لقيامه بدور مضاد للثورة الشيوعية، واعتقل الكثير من زعماء الحركة الصهيونية في موسكو وعدد من المدن السوفيتية.¹ من هنا يتضح أن الاتحاد السوفيتي منذ العام 1917 وحتى منتصف الأربعينات كان يرفض فكرة قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، ويعتبرها حقاً لسكانها العرب وليس لليهود أي أحقية فيها، وأنه من حق شعب فلسطين تقرير مصيره وإنشاء دولته المستقلة بعيداً عن الصهيونية والإمبريالية.

سابعاً: التنافس السوفيتي – الأمريكي على النفوذ في فلسطين

بعد الحرب العالمية الثانية عام 1945 وبروز الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية، اكتسبت فلسطين أهمية استراتيجية فائقة بالنسبة للقوتين الجديدتين، كونها الإقليم الوحيد في المنطقة الذي لم يتحول في ذلك الوقت إلى دولة، وطمعت كل من القوتين في أن تحولها إلى دولة تابعة لنفوذها. نظراً لأهميتها الإستراتيجية المتمثلة في السيطرة على قناة السويس والبحرين المتوسط والأحمر من جهة، وعلى المشرق العربي حتى العراق والخليج العربي من جهة أخرى،² بالتالي فإن القوة التي تُحوّل فلسطين إلى دولة تابعة لها تكون قد أخذت فرصة أكبر لنشر نظامها الاقتصادي والأيدولوجي في المنطقة العربية. ومن أجل ذلك دعمت كل من القوتين العظميين إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، حتى تجعله أداة لخدمة مصالحها في المنطقة. إلا أن تحولاً طرأ على موقف الاتحاد السوفيتي، حيث وجد أن من مصلحته تأييد

1. مهنا، مشكلة فلسطين، 118.

2. سلافة حجاوي، في التاريخ السياسي لفلسطين، فلسطين المكان (فلسطين: الجزء الأول 2000)، 131.

إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وتقسيمها إلى دولتين عربية ويهودية، ورأى أنه بتأييده قرار التقسيم سوف يتم التخلص من الاستعمار وإنهاء الإنتداب البريطاني في فلسطين، وفي ذات الوقت أيد العرب ضد أعمال العدوان اليهودية،¹ على اعتبار أن موقفه ينسجم مع مبدأ حق تقرير المصير للشعبين العربي واليهودي. ففي مؤتمر نقابات العمال العالمي الذي انعقد في لندن عام 1945 وافق الوفد السوفيتي على قرار ينص على أن الشعب اليهودي يجب أن يُمكن من مواصلة إعادة بناء فلسطين كوطن قومي له.² وجاء في كلمة لأندرية غروميكو³ حين كان ممثلاً للاتحاد السوفيتي السابق لدى الأمم المتحدة بتاريخ 1947/5/14 "إنه لا يمكن حماية مصالح الشعبين إلا في إقامة دولة عربية_ يهودية ديمقراطية أو تقسيم البلاد إلى دولتين عربية ويهودية"⁴ كما أعرب غروميكو عندما أصبح وزيراً للخارجية السوفيتية فيما بعد أن تأييد بلاده لقرار التقسيم جاء من منطلق أنه يوجد شعبان في فلسطين أحدهما عربي والآخر يهودي، ولكل منهما جذور تاريخية رغم اختلافهما أيديولوجياً. مما يعني أنهما لا يمكن أن يعيشا سوياً في دولة فيدرالية. وبالتالي فإن الحل الأنسب والأفضل هو وجود دولتين لهما في فلسطين، خاصة وأنها لم تتمكن أي دولة أوروبية من توفير الأمن والحماية للشعب اليهودي من المذابح النازية، كما أعلن غروميكو أن "لا حل لقضية فلسطين إلا بالاستقلال والديمقراطية التي تحفظ حقوق جميع السكان الفلسطينيين على أساس العدل والمساواة، أما إذا لم يكن هناك طريق إلى تفاهم العرب واليهود على هذا الحل فهو أمر مؤسف كما قال وعند ذلك لن يكون من حل إلا

1. سيد نوفل، العمل العربي المشترك في المجال الدولي (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية في جامعة الدول العربية، 1971)، 252.

2. مهنا، مشكلة فلسطين، 122.

3. أندرية غروميكو: أول مندوب للاتحاد السوفيتي في هيئة الأمم المتحدة عام 1946، وتولى فيما بعد منصب وزير خارجية الاتحاد السوفيتي من الفترة 1957 وحتى 1985.

4. arbsys.net/vb/index.php/showthread.php1958

التقسيم".¹ إلا أن الاتحاد السوفيتي اعترف بإسرائيل رغم عدم تنفيذ الشق الثاني من قرار التقسيم الذي ينص على قيام دولة عربية إلى جانب دولة إسرائيل، وبذلك يكون الاتحاد السوفيتي قد تجاوز المبادئ التي كان ينادى بها بعد قيام الثورة الشيوعية عام 1917، باعتبار الصهيونية حركة رجعية. وبتأييده واعترافه بإسرائيل خسر الاتحاد السوفيتي علاقته مع كثير من الدول والشعوب العربية.

ثامناً: الدعم السوفيتي لدولة إسرائيل

إنتمت السياسة السوفيتية إزاء قيام دولة لليهود في فلسطين بشكل خاص، وإزاء العالم العربي بشكل عام، بالتأرجح والغموض وعدم الوضوح وأحياناً بالتردد، فتارة كان الإتحاد السوفيتي يقف موقف الداعم للفلسطينيين وللدول العربية، وتارة أخرى يدعم قيام دولة ووطن قومي لليهود في فلسطين. إلا أنه وبعد انتصاره في الحرب العالمية الثانية، رأت الخارجية السوفيتية أن المستوطنين اليهود في فلسطين يمثلون أكبر القوى (تقدمية) في المنطقة وأن مصلحة الإتحاد السوفيتي تتمثل في دعمهم وليس في مساندة الحكومات العربية (الرجعية). فكان أول دولة تعترف رسمياً بإسرائيل بعد قيامها في العام 1948، وكان موقفه فيما يتعلق بقرار التقسيم 181 الصادر من الأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني 1947 مفاجئاً للعالم بأسره عندما أعلن عن تأييده للقرار وحشد ووفر عدداً يفوق ثلثي الأعضاء المطلوب تصويتهم لإقراره،² فصوته كان الفاصل في قرار التقسيم من أجل

1. أميل توما، يوميات شعب، 30 عاماً على الإتحاد (حيفا: مطبعة الإتحاد التعاونية، 1974)، 45.
2. أيسر هرنيل، منجل في النجمة السداسية-أضواء على أعمال التجسس السوفيتية في إسرائيل، ترجمة بدر عقلي (عمان: دار الجليل للنشر، 1988)، 7.

دخوله حيز التنفيذ، ولو أنه صوتّ ضد القرار أو امتنع عن التصويت عليه لكان الموقف تغير برمته، ولما تمكنت الصهيونية من الحصول على العدد المطلوب من الأصوات لإصدار القرار. كون أصوات المجموعة الإشتراكية والتي تشمل الاتحاد السوفيتي وأوكرانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا كانت لتحسم الأمر لو تحولت إلى الموقف المضاد للتقسيم.¹ وفيما يتعلق بالاعتراف بدولة إسرائيل قال المستشرق السوفيتي ف.ب. لوتسكي في كتابه (الإمبريالية البريطانية والأميركية في الشرق الأدنى): إن الإيعتراف السوفيتي بإسرائيل هو اعتراف حقوقي، في حين أن الإيعتراف البريطاني والأمريكي اعتراف واقعي. وقال إن الاتحاد السوفيتي كان يدعم إسرائيل دعماً حقيقياً ومخلصاً.² وخلال حرب عام 1948 بين العرب وإسرائيل أيدّ الاتحاد السوفيتي إسرائيل ضد الدول العربية، التي كانت في نظره دول عدوانية تسعى للقضاء على دولة إسرائيل، معتبراً إياها أداة في أيدي الدول الغربية، هدفها الإطاحة بالدولة اليهودية والقضاء على اليهود في فلسطين. كما أن المعلقين السوفيت لم يتوانوا عن وصف بعثة الأمم المتحدة إلى فلسطين برئاسة الكونت برنادوت، بأنها خطة مدبّرة للقضاء على استقلال دولة إسرائيل³ وعارض الاتحاد السوفيتي تلك الخطة القاضية بتعديل حدود الدولة اليهودية وتسليم النقب للعرب وتدويل القدس. واعتبر حرب العرب ضد اليهود عملاً عدوانياً وغير إنساني، واتهم القوات العربية بأنها عبارة عن تنظيمات رجعية وشبه فاشية، وشحن لإسرائيل السلاح من دول أوروبا الشرقية بأمر شخصي من ستالين، وزود القوات اليهودية المقاتلة في تلك الحرب

1. مهنا، مشكلة فلسطين، 176.

2. مجموعة من المؤلفين، النار والجليد، 236.

3. المرجع السابق، 236.

بالسلاح من تشيكوسلوفاكيا، وفي اجتماع لمجلس الأمن بتاريخ 1948/12/2 صرح
المندوب السوفيتي جاكوب مالك "بأن إسرائيل وُجِدت لتبقى، وأن فلسطين هي موطن
أجدادها، وأن أعداءها ويعني العرب هم عملاء للإمبريالية الغربية".¹

تاسعاً: التآرجح في موقف الاتحاد السوفيتي بين العرب وإسرائيل

إن موقف الاتحاد السوفيتي من إسرائيل قد تبدل في الخمسينات من القرن العشرين، فقد
استغل السوفييت النزاع والعداء العربي الشديد تجاه اليهود، من أجل زيادة النفوذ السوفيتي
وتعزيز أهدافه الإستراتيجية في الشرق الأوسط والمنطقة العربية، فلم يُعدّ يصف
الحكومات العربية بالرجعية، ولعل السبب في هذا التحول هو تلك الأزمة التي نشأت بينه
وبين إسرائيل، بعد الانفجار الذي حدث في الممثلة السوفيتية في تل أبيب في 9 شباط عام
1953، والتي على أثرها قطع الاتحاد السوفيتي علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل،² وجاء
في إعلانه بهذا الشأن: "إن الأسف الذي أبدته الحكومة الإسرائيلية يتعارض بشكل
مفوض، مع النشاط المُنظَّم في التحريض على كراهية الاتحاد السوفيتي الذي قامت به
ليس صحف الأحزاب فحسب، بل أعضاء حكومة إسرائيل وبرلمانها. ولهذا لا ترى
الحكومة السوفييتية الشروط متوفرة لنشاط البعثة الدبلوماسية في إسرائيل"،³ إلا أنه وبعد
اعتذار إسرائيل للحكومة السوفييتية وتعهدتها بمعادة ومقاطعة أي حلف مُعادٍ للاتحاد
السوفيتي، ووعدها بالكشف عن مسببي الانفجار، وافقت موسكو على إعادة العلاقات

1. ارشيدات وآخرون، دراسات في القضية، 44.

2. هرئيل، منجل في النجمة السادسة، 8.

3. توما، يوميات شعب، 127.

والتمثيل الدبلوماسي بين البلدين في تموز 1953، وفي أيار 1954 إرتقى مستوى التمثيل الدبلوماسي بينهما إلى مستوى سفارة. وتم استقبال جولدا مائير بحفاوة بالغة كأول سفيرة لإسرائيل في موسكو¹ فيما قدم السفير السوفيتي أوراق اعتماده بالقدس في آب 1948 وكان بذلك أول دبلوماسي لدولة عظمى يصل إسرائيل. وجاء تجديد العلاقات السوفيتية الإسرائيلية بعد وفاة ستالين، الذي شجع الدول الأوروبية الشرقية على فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين واعترف بدولة إسرائيل فور قيامها ووافق مع الرئيس الأمريكي آنذاك فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرشل على تدعيم فكرة الوطن القومي لهم². في المقابل أخذت العلاقات السوفيتية العربية تتطور إلى الأفضل وتحديداً مع مصر، فقد بدأ التخلخل السوفيتي يتجدد ويتفاعل في منطقة الشرق الأوسط عقب عقد صفقة الأسلحة التشيكية المصرية، التي وقعت في أعقابها حرباً عامي 1956 و1967. وأصبح الإتحاد السوفيتي يشكل مصدر السلاح الأول للعالم العربي، وكان حريصاً في ذات الوقت على العمل من أجل تحسين علاقاته مع إسرائيل.

فالسياسة الخارجية السوفيتية كانت تتغير حسب ما تميل به عليها مصالحها، فالإتحاد السوفيتي رغم دعمه لقيام دولة إسرائيل، والوقوف إلى جانبها في بداية ولادة تلك الدولة أو حتى قبيل ولادتها، إلا أنه في الوقت ذاته كان يرى أن عليه العمل من أجل الحفاظ على علاقات ودية مع غالبية دول الشرق الأوسط، لأن المصلحة السوفيتية تقتضي ذلك.

1. 1958.php/showthread.php/vb/index.php/arbsys.net

2. كتن، العلاقات الروسية العربية، 35.

وهذه الحقيقة كان يعرفها الساسة والمسؤولون الإسرائيليون، وأنه ليس هناك أي نية أو مصلحة للاتحاد السوفيتي في إلحاق الأذى وإيقاع الضرر بدولة إسرائيل، وأن عليها كما صرح أحد مسؤوليها أن لا تنسى وقوف الاتحاد السوفيتي إلى جانبها في بداية تكوينها خاصة وقوفه إلى جانبها خلال الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948، ومن خلال قيام الاتحاد السوفيتي بتسهيل إجراءات الهجرة لآلاف اليهود السوفييت، ومنح زيادة في عدد تأشيرات الخروج من الاتحاد السوفيتي إلى دولة إسرائيل، علماً بأن هجرة اليهود من دول أوروبا وخصوصاً من روسيا إلى فلسطين، بدأت قبل ظهور الاتحاد السوفيتي وكانت الموجة الأولى من هذه الهجرات بين عامي 1882 و1903 وكان عدد المهاجرين خلال هذه المدة حوالي 28 ألف يهودي. أما الموجة الثانية فكانت بين عامي 1904 و1914 وبلغ عدد المهاجرين خلال تلك الفترة نحو 40 ألف مهاجر، كان معظمهم من اليهود الروس، تلتها الموجة التي لم تتوقف حتى الآن من هذه الهجرات بعد نكبة عام 1948 وقيام دولة إسرائيل. وكان غالبية المهاجرين اليهود من فئة الشباب والفئة المتعلمة، ومن يهود الكتلة الشرقية الذين كانوا ممن تأثروا بالدعوة الصهيونية في الأربعينيات ولم يجد الاتحاد السوفيتي بأساً من التخلص منهم حينذاك.¹ وكان أعضاء الجناح العسكري في حزب بوعالي تسيون² (عمال صهيون) يرون أن حل المشكلة اليهودية لن يتأتى إلا من خلال الهجرة الجماعية إلى فلسطين. وهذا الحزب كان منذ نشأته يجري اتصالات بشكل

1. نوفل، العمل العربي المشترك، 253.

2. حزب عمال صهيون: تأسس عام 1906 في فلسطين على يد المهاجرين اليهود الروس من أعضاء الهجرة الثانية وكان منذ تأسيسه مرتبطاً بأعضاء حزب بوعالي صهيون في روسيا.

دائم مع اليهود في فلسطين،¹ رغم احتجاج العديد من الدول العربية على تلك الهجرة، من منطلق أن الهدف الرئيس للاتحاد السوفيتي وإسرائيل من هذه الهجرة بأعدادها الهائلة هو توطين هؤلاء المهاجرين في فلسطين وتحديدًا في القدس، وطرد السكان العرب منها وإحداث انقلاب ديموغرافي في عدد سكانها، بحيث يصبح الفلسطينيون أقلية سكانية والأغلبية يهودية، الأمر الذي يجعل قضية فلسطين من وجهة نظر العرب في وضع حرج.

ويعتبر ستالين أكثر الزعماء السوفيت الذين وقفوا خلف الإسهام الكبير في هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة لهم فيها. وفسر ذلك بأنه يعود إلى رغبة موسكو العارمة في أن يكون لها موطئ قدم في الشرق الأوسط وفي تقويض الوجود البريطاني، وحتى في محاولة دق إسفين بين بريطانيا والولايات المتحدة، وبرز في وثائق الخارجية السوفييتية أن موسكو أبدت في تلك الفترة اهتماماً بمسألة هجرة اليهود إلى إسرائيل، وذلك باعتبار أن هجرة جماعية كهذه تنطوي على حل لمشاكل سوفييتية داخلية نشأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية على خلفية عودة اللاجئين اليهود إلى أماكن إقامتهم الأصلية.² وكان الاتحاد السوفيتي يرى أن من حقه وتحت أي ظرف من الظروف اتخاذ أي إجراء يراه مناسباً ومتماشياً مع مصلحة سياسته الخارجية، وهذا ما أشار إليه ممثل الاتحاد السوفيتي لدى الأمم المتحدة أندريه غروميكو "بأن اهتمام الاتحاد السوفيتي أولاً وأخيراً هو حماية مصالحه الاقتصادية والعسكرية، بصرف النظر عن مصالح الدول العربية".³ وترجمة لهذا

1. هرنيل، منجل في النجمة السادسة، 250.

2. ستالين والدولة اليهودية، 2009 forum.rtarabic.com/showthread.php

3. مجموعة من المؤلفين، النار والجلب، 242.

التوجه إستخدام الاتحاد السوفيتي حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن في نوفمبر 1948 ضد مشروع قرار يفرض على الجيش الإسرائيلي الإنسحاب من النقب ويفرض عقوبات اقتصادية على إسرائيل إذا رفضت الانصياع للقرار.¹

عاشراً: موقف الاتحاد السوفيتي من قضية اللاجئين والقرار 194

صوتت الدول الأوروبية وتحديداً الاتحاد السوفيتي على قرار تقسيم فلسطين² إلى دولتين عام 1947 وإعلان قيام إسرائيل في 15 أيار 1948، الأمر الذي أدى إلى رفض العرب والفلسطينيين للقرار، ونشوب الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948. ومنذ ذلك الوقت ظهرت مشاكل وقضايا متعددة، وكان أهمها قضية اللاجئين الفلسطينيين. وفيما يتعلق بتلك القضية حملّ الاتحاد السوفيتي المسؤولية عنها للدول الغربية أولاً، ثم للدول العربية ثانياً. ورأى أن إسرائيل ليس لديها أي علاقة بذلك طالما أن نقض قرار التقسيم الذي لم يدخل موضع التنفيذ هو السبب. معتبراً أنه كان الطريق الوحيد لحل هذه المشكلة من وجهة النظر السوفيتية.³ وبقيت مشكلة اللاجئين قائمة في مجلس الأمن وتبحثها الجمعية العامة للأمم المتحدة في كل دورة من دوراتها بعد العام 1948. وكان السوفيت يدعون دائماً إلى حلها علماً بأنه كان يوجد امتناع سوفيتي دائم عن التصويت ما بين الأعوام 1948-1955 على القرارات المتعلقة باللاجئين. ولم يكن هناك أي نفوذ سوفيتي في إقامة وكالة غوث

1. 1958..arbsys.net/vb/index.php/showthread.php

2. قرار التقسيم: هو الاسم الذي أطلق على قرار قامت الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة بالموافقة عليه في 29 تشرين ثاني عام 1947، وقضت بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيم أراضيها إلى 3 كيانات جديدة دولة عربية وأخرى يهودية وأن تقع مدينتا القدس وبيت لحم في منطقة خاصة تحت الوصاية الدولية. كان هذا القرار المسمى رسمياً بقرار الجمعية العامة رقم 181. من أولى المحاولات لحل النزاع العربي-الصهيويني على أرض فلسطين وتطبيق هذا القرار يعتبر بمثابة حل لقضية اللاجئين الفلسطينيين من وجهة النظر السوفيتية.

3. مهنا، مشكلة فلسطين، 289.

وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، إضافة إلى أن الاتحاد السوفيتي لم يساهم مالياً في عمليات الغوث، ولا في مشروع قرار قدمه مندوب سوريا لدى الجمعية العامة في 8 كانون الثاني عام 1952، طالب فيه الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية العليا بحق اللاجئين في العودة إلى أراضيهم واستعادة ملكياتهم ومصالحهم.¹ وكان يعتبر مشكلة فلسطين مشكلة لاجئين أوجدتها بريطانيا، وأصبح يتداول مصطلح "اللاجئون الفلسطينيون أو اللاجئون الفلسطينيون العرب"، ولم يستخدم مصطلح شعب فلسطين أو الشعب العربي في فلسطين. وكانت علاقة الاتحاد السوفيتي المتذبذبة مع الدول العربية تؤثر على موقفه تجاه قضية اللاجئين، فالعلاقات العربية السوفيتية كلما كانت جيدة كلما انعكست بالإيجاب على المواقف السوفيتية من تلك القضية بشكل خاص والصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام. فبعد حرب تشرين الثاني عام 1973 بين العرب وإسرائيل، تغير الموقف السوفيتي من الامتناع إلى الإيجاب فيما يتعلق بالقرارات المتعلقة باللاجئين. وأصبح يُعرفهم بأنهم الفلسطينيون العرب الذين طردتهم إسرائيل وحرمتهم بالقوة من ديارهم ووطنهم وحولتهم إلى لاجئين بلا دولة وبلا وطن.²

يُلاحظ مما سبق أن علاقة الاتحاد السوفيتي وموقفه من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مرّ بمراحل مختلفة، بدأت المرحلة الأولى بقيام الثورة البلشفية عام 1917 وحتى الحرب العالمية الثانية عام 1945، واتسمت هذه المرحلة بمعاداة السوفيت للصهيونية واعتبارها حركة رجعية، ورفض فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين. أما المرحلة الثانية فتمثلت

1. مهنا، مشكلة فلسطين، 300.

2. إسكندر أحمدوف، الاتحاد السوفيتي والعالم العربي- مجموعة من الوثائق السياسية، ترجمة خيرى الضامن (موسكو: دار التقدم، 1978)، 216.

في الفترة ما بين 1947 و1948، واتسمت بتأييد الاتحاد السوفييتي لقرار التقسيم وإقامة دولة فيدرالية عربية يهودية أو دولتين عربية وأخرى يهودية. وفي حرب 1948 وقف الإتحاد السوفييتي إلى جانب إسرائيل معتبراً أن القوات العربية مدعومة من قبل الغرب والاستعمار والإمبريالية الغربية. أما المرحلة الثالثة فتميزت بفتور العلاقات السوفييتية الإسرائيلية، مع استمرار للعلاقات الاقتصادية والدبلوماسية، رافق ذلك دعوة الاتحاد السوفييتي العرب واليهود إلى المصالحة وهذه المرحلة كانت في الفترة ما بين عامي 1949 و1955. أما المرحلة الرابعة فكانت بين العامين 1955 و1981 حيث اعتبر السوفييت إسرائيل أداة في يد الغرب مع عدم موافقتهم على إزالتها. وخلال تلك الفترة حدثت حرب عام 1967 حيث احتلت إسرائيل الضفة الغربية والجولان وسيناء، وبدأ النشاط العسكري للمنظمات الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي. ودخلت كل من روسيا والولايات المتحدة على ساحة الصراع في المنطقة وكان لروسيا دور فاعل في دعم العرب والفلسطينيين في تلك المرحلة. أما المرحلة الخامسة والأخيرة فقد حدث فيها تطور مهم بالنسبة للفلسطينيين، تمثل باعتراف الاتحاد السوفييتي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وحق هذا الشعب في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة إلى جانب دولة إسرائيل، وهذا ما سيتم التعرض له في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني: العلاقات الفلسطينية السوفيتية في ظل الحرب الباردة

مقدمة

حكمت حدة الصراع بين الدولتين القطبين (الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي)، أهمية القضايا القائمة على الساحة الدولية، فكانت تخف وتزداد حسب أولويات السياسة الخارجية لكل من الدولتين في كل مرحلة تاريخية. وكان نمط العداء مُحتماً بين القطبين في ظل النسق الدولي ثنائي القطبية. بالإضافة إلى اختلاف طبيعة النظامين الاجتماعيين الليبرالي والشيوعي، في وقت تعارضت فيه جوهرياً مصالح وأهداف القطبين، فلم يكن من المبالغة القول إن العداء كان يمثل جوهر العلاقة بين الدولتين وتمثل بما عُرف بمصطلح الحرب الباردة. وكانت منطقة الشرق الأوسط بما فيها فلسطين من المناطق التي احتدم حولها الصراع بين الدولتين القطبين وحكمت العلاقة الفلسطينية السوفيتية خلال الحرب الباردة عدة عوامل تتعلق بمصالح الإتحاد السوفيتي بالمنطقة العربية وعلاقته بإسرائيل والولايات المتحدة مما جعل الموقف السوفيتي من القضية الفلسطينية متذبذباً ولا يتسم بالثبات.

أولاً: الاهتمام السوفيتي بالقضية الفلسطينية

بقيت السياسة السوفيتية تميل لصالح إسرائيل إلى أن تبدل الموقف عام 1954، حيث بدأت المرحلة الثانية من العلاقات الفلسطينية الروسية، حين استخدم الإتحاد السوفيتي قرار النقض "الفيتو" لصالح العرب ضد قرار لصالح إسرائيل،¹ وذلك عندما دعا مجلس الأمن

¹ محمد الفراه دراسات القضية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، المجلد السادس، القسم الثاني (بيروت: 1990)، 33.

مصر إلى رفع القيود المفروضة على مرور بعض السفن التجارية عبر قناة السويس،¹ لكن التحول الأبرز كان عام 1956. فقد تدهورت العلاقات السوفيتية الإسرائيلية نتيجة التقارب الأمريكي الإسرائيلي، وبدا واضحاً للاتحاد السوفيتي أن إسرائيل تمثل حارساً للمصالح الغربية في المنطقة العربية، وبناء على ذلك أخذ الاتحاد السوفيتي بتقديم الدعم للعرب. وخلال الفترة التي تلت العام 1956 حثت الدول العربية حلفاءها السوفيت على التعبير عن دعمهم للحقوق المشروعة للفلسطينيين، وذلك في البيانات المشتركة التي كانت تصدر عنهم، فعلى سبيل المثال جاء في البيان المشترك الذي صدر في 15 أيار عام 1958 في ختام زيارة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر الرسمية للاتحاد السوفيتي ما يلي: "قام الجانبان ببحث مسألة حقوق الفلسطينيين العرب وإعادهم عن وطنهم وأكدوا دعمهما الكامل لحقوقهم المشروعة"²، وبالفعل فقد جرى إدراج تصريحات من هذا النوع في معظم البيانات العربية - السوفيتية المشتركة الصادرة في تلك الفترة، وفي العام 1964 بدأ الاتحاد السوفيتي يشير إلى حقوق الفلسطينيين ليس فقط كحقوق مشروعة بل كحقوق قانونية ثابتة. وبعد انتهاء حرب عام 56 (العدوان الثلاثي على مصر) تزايد الدعم السوفيتي للعرب، وتوج ذلك باعتراف الاتحاد السوفيتي على لسان الرئيس نيكيتا خروشوف أثناء زيارته لمصر عام 1964 بالحقوق الثابتة والمشروعة للشعب الفلسطيني، لكن بقي ذلك في إطار اعتبار قضية فلسطين قضية لاجئين،³ واستمر الموقف السوفيتي المناصر للعرب منذ ذلك الوقت وحتى عام 1973 حيث أُعجِبَ

1. الفراء، دراسات القضية الفلسطينية، 33.

2. المرجع السابق، 28.

3. المرجع السابق، 49.

السوفيت بالأداء العربي في حرب أكتوبر 1973 والتي كانت بمثابة اختبار للسلاح السوفيتي الذي شارك خبراء روس في تدريب المصريين عليه. وكشفت مصادر أن العديد من ضباط وجنود الاتحاد السوفيتي ضحوا بأرواحهم خلال حرب أكتوبر وحرب الاستنزاف التي سبقتها إلى جانب رفاقهم المصريين وكذلك على الجبهة السورية. وطبقاً لشهادة الجنرال السوفيتي نيكولاي إيفليف، المستشار العسكري والقائم بأعمال الهيئة العسكرية الدبلوماسية في السفارة السوفييتية بالقاهرة، والذي شارك في حربي الاستنزاف عام 1970 واکتوبر عام 1973 على الجبهة المصرية، فإن بلاده ضحت بأكثر من ثلاثة عشر ضابطاً وجندياً قتلوا خلال الحربيين، وأكثر من مائتي جريح على الجبهة السورية.¹

وتخلل تلك الفترة بدء تعامل السوفيت مع القضية الفلسطينية على أنها قضية شعب وعدم حصرها في قضية لاجئين. وبعد إصدار مجلس الأمن القرار 338 بتاريخ 22 تشرين الثاني أكتوبر عام 1973 والداعي إلى وقف إطلاق النار على كافة جبهات حرب أكتوبر، ضمن الاتحاد السوفيتي أن يكون له دور في حل القضية الفلسطينية، وترأس إلى جانب الولايات المتحدة مؤتمر جنيف في كانون الأول عام 1973، الذي أوضحت فيه موسكو موقفها تجاه الوضع في الشرق الأوسط، والذي تبلور في ضرورة التزام إسرائيل بسحب قواتها من الأراضي المحتلة 1967، والحفاظ على حق الدول في المنطقة أن تحيا بسلام بما فيها إسرائيل، وضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ورغبة الاتحاد السوفيتي

¹ الحوار المثمن، عدد 51737، 7-10-2009، www.ahewar.org/debat/show.art.asp

أن يكون له دور في عملية التسوية.¹ كما كان الاتحاد السوفيتي عام 1974 إحدى الدول الداعية والمطالبة بأن تصبح فلسطين عضواً مراقباً في منظمات الأمم المتحدة والجمعية العامة، مؤكداً أنه إذا ما طالبت فلسطين في أن تصبح عضواً في أي منظمة دولية فإنه سوف يكون لها موقف داعم ومؤيد تجاه المطالب الفلسطينية لدى الدول الأخرى.²

وفي المرحلة الثانية طرأ تحول جذري على سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية وعلى المفاهيم الأيديولوجية المبنية عليها ونتج عن هذا التحول تغير في العلاقات السوفيتية الإسرائيلية، وفي العلاقات السوفيتية العربية، مما أدى إلى إعادة تقييم سوفيتي للقضية الفلسطينية. وقد أفسحت النظريات والمفاهيم السوفيتية الجديدة التي تم تبنيها خلال هذه الفترة المجال أمام دخول سوفيتي متزايد في العالم العربي. وتحسنت العلاقات السوفيتية العربية بما يحقق مصالح الاتحاد السوفيتي في المنطقة، لا سيما فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي والعلاقات الإقليمية المرتبطة بهذه المصالح، سواء كانت إستراتيجية أو سياسية أو اقتصادية أو أيديولوجية، وتغليبها على المصالح السوفيتية العالمية الأخرى خاصة فيما يتعلق بالعلاقات مع الدول العربية والفلسطينيين.³ مما شكل أحد العوامل التي أدت إلى تنمية شعور عدائي سوفيتي تجاه إسرائيل. وتم التعبير عن هذا الانقلاب في الموقف السوفيتي تجاه إسرائيل في الأدبيات السوفيتية التي صدرت خلال تلك الفترة،

1. بلال الشوكي، "سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية"، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 34-35 (2006): 45-70.

2. مقابلة الباحثة مع أحد مسؤولي إدارة أوروبا في وزارة الخارجية الفلسطينية (البيرة: 2010/10/27).

3. Galia, Golan, Yom Kippur and after the Soviet Union and the Middle East crisis, Cambridge University Press, 1977,p53.

والتي كشفت عن إعادة النظر من قبل الرأي العام السوفيتي فيما يخص "شرعية إسرائيل" وإمكانية استمرارها في الوجود رغم استمرار اعترافه "بشرعيتها". وبالرغم من هذه المواقف المناصرة للقضية الفلسطينية فإن جملة من التفاعلات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أدت إلى تراجع هذه المواقف، واتضح ذلك في البيان المشترك بعد مباحثات فانس وغروميكو في تشرين الأول عام 1975، وتمثل هذا التراجع في التخلي عن فكرة الإنسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي المحتلة عام 1967، وعن وصف الحقوق الفلسطينية بالوطنية والمشروعة.

ثانياً: القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة وموقف القطبين منها

كانت القضية الفلسطينية من ضمن أولى القضايا الدولية الساخنة التي طرحت داخل أروقة منظمة الأمم المتحدة منذ تأسيسها عام 1945، باعتبارها تحدياً واختباراً كبيرين لمصادقية هذه المنظمة ومبادئها وأهدافها، وأصدرت الأمم المتحدة بحقها العديد من القرارات والتوصيات سواء من قبل مجلس الأمن أو من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهذه القرارات تشكل سنداً ومرتكزاً لتأكيد الحقوق الفلسطينية المشروعة في ظل احتدام الصراع بين الشرق والغرب. غير أن هذه القرارات أصبحت بلا فاعلية كونها لم تكن في أغلب الأحيان مصاحبة لإجراءات ميدانية لتنفيذها، بالإضافة إلى تداعيات استعمال حق النقض "الفيتو" الأمريكي "بسوء نية" داخل مجلس الأمن على مجمل القضايا العربية وعلى رأسها قضية فلسطين، جراء اشتداد الحرب الباردة التي انتقلت مظاهرها إلى داخل الجهاز

المسؤول عن حفظ السلام والأمن الدوليين بالشكل الذي شلَّ حركته زهاء نصف قرن من الزمن.¹ فما بين عامي 1948-1986 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ما يقرب من 300 قرار إدانة لإسرائيل، إلا أن إسرائيل لم تبال بها نظراً للحماية التي يوفرها لها حق النقض (الفيتو) الأمريكي داخل مجلس الأمن،² أما الإتحاد السوفيتي فقد كان له موقف مساند لحركات التحرر العالمي، وقد تحكمت في خطابه من القضية الفلسطينية مجموعة من الإعتبارات وساندها بشكل كبير في عدة مناسبات، في نفس الوقت الذي اعترف فيه بقيام دولة إسرائيل، ولعل موقفه هذا ينسجم مع متطلبات المرحلة التي حتمت عليه الموازنة ما بين علاقاته مع أصدقائه العرب من ناحية وعلاقاته مع الولايات المتحدة الحليف الرئيس لإسرائيل من ناحية أخرى، في إطار مصالحه المرحلية خاصة مع بدء سياسة الوفاق بينه وبين الولايات المتحدة³ والتي امتدت ما بين عامي 1969 و1979، حيث أبدى كلا القطبين أفكاراً متوافقة حول الانفراج وتنمية التعاون بينهما فيما رأت الولايات المتحدة أنها اتبعت نهجاً جديداً لاحتواء الإتحاد السوفيتي.⁴

ثالثاً: الموقف السوفيتي من القوى والفصائل الفلسطينية

يبرز في إطار تاريخ علاقة الإتحاد السوفيتي بالقضية الفلسطينية والفلسطينيين، أهمية الموقف السوفيتي ما بعد عام 1967 وحتى أواخر عام 1969 من ظاهرة قوة "الفدائيين" الفلسطينيين. حيث سارع الإتحاد السوفيتي إلى تأييد سائر المنظمات الفدائية لفترة من

1. إدريس لكريني، "القضية الفلسطينية والمحيط الدولي المتغير"، الحوار المتمدن، عدد 1574 (2006)، www.ahewar.org/debat/show.art.asp

2. حتى ناصيف يوسف، القوى الخمس الكبرى والوطن العربي، دراسة مستقبلية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، 67.

3. لكريني، القضية الفلسطينية.

4. Caldwell, McGraw, and others. Soviet-American relations in the 1980s, New York, McGraw-Hill, 1981, p64.

الزمن تأييداً إعلامياً قوياً. واستمر هذه التأييد حتى أواخر آب عام 1968 ووصف أعمالها بأنها شرعية وصحيحة لأنها أعمال شعب يرزح تحت نير الاحتلال. إلا أن ذلك التأييد للفلسطينيين "المقاتلين من أجل الحرية" لم يدم طويلاً، إذ انقلب عليهم السوفيت منذ أوائل عام 1969 وأدانوا نشاطاتهم وأعمالهم. وطالبوا العرب بالعمل على كبح جماحهم ووضع حد لنشاطاتهم،¹ فلم يعد الإتحاد السوفيتي يؤيد وجهة النظر الفلسطينية بتحرير كامل التراب الفلسطيني من خلال الكفاح المسلح، ووجد أن من الصعب استمراره في دعم الفدائيين وتأييدهم، من منطلق سياسة التوازن بين استغلاله الفرص السانحة في خضم النزاع العربي الإسرائيلي، وبين شعوره المتزايد بأن نشوب أية حرب سينطوي على مخاطر جمة، وأنه لن يكون هناك أية حرب جديدة ما دامت إسرائيل محتفظة بتفوقها العسكري على العرب، وما دام التفاهم الأمريكي السوفيتي لتفادي أية مجابهة بين العملاقين لم يتم بعد. وبالتالي قررت معظم "المنظمات الفدائية" الوقوف محتفظة حيال الموقف السوفيتي، ومما ساعدها في ذلك أن الحكومات العربية لا سيما المنتجة للبترول أخذت تمددها بالأموال الوافرة.

رابعاً: الدعم السوفيتي لمنظمة التحرير الفلسطينية

تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في أيار 1964 لم يحدث أي تغيير في موقف الإتحاد السوفيتي إزاء القضية الفلسطينية، فخلال عام 1964 كان ينظر إلى المنظمة نظرة عدم اكتراث. وواصل اعتبار القضية الفلسطينية قضية لاجئين فقط، دون الإعراف بمطالب

1. ا.ه. هانتر، التورط السوفيتي في الشرق الأوسط، ترجمة جبر مروان (بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية، انترناشنال سنتر، 1971)، 101.

الشعب الفلسطيني وحقه في الحصول على حقوقه الوطنية وعلى دولة مستقلة، وفي أعقاب هزيمة حزيران 1967 بدأ الاتحاد السوفيتي يدرك مدى خطورة إسرائيل كقوة إقليمية في الشرق الأوسط، معتبراً أن الأولوية يجب أن تُعطى لإزالة نتائج العدوان الإسرائيلي على الدول العربية،¹ وعلى ضوء ذلك أخذت المواقف السوفيتية المُعلنة تتصح العرب بتأجيل انشغالهم بمنظمة التحرير، وترى بأن الدعوة الفلسطينية لتدمير الدولة الإسرائيلية سوف تسيء إلى المصالح العربية في المنطقة، وتعرقل كل الجهود الرامية للتوصل إلى تسوية سياسية. وفي النهاية تعطي إسرائيل ذريعة لرفع وتيرة التصلب في موقفها مما قد يعيق مجرى الدبلوماسية السوفيتية في المنطقة. ونجم عن هذا الموقف السلبي الجديد تجاه منظمة التحرير، عدم التوافق بين وجهتي النظر الفلسطينية والسوفيتية. فالاتحاد السوفيتي يعتبر وجود دولة إسرائيل واقعاً لا يمكن تغييره من خلال الوسائل العسكرية. وأصبح هدف منظمة التحرير الفلسطينية المتمثل بالعمل الاستراتيجي العسكري في نظر السوفييت غير عملي، وعلى الأرجح مستحيلاً.² أما منظمة التحرير فقد توقعت منه أن يلعب دوراً مساعداً في إستراتيجيتها، إلا أن القيادة السوفيتية ظلت تضغط على المنظمة من أجل القبول بقرار مجلس الأمن رقم 242 الذي صدر عام 1967 والداعي إلى إعادة الأراضي العربية المحتلة، وحق كل دول المنطقة بما فيها إسرائيل بحدود هادئة وأمنة.³

وفي خضم هذه التطورات إصطحب الرئيس المصري جمال عبد الناصر عام 1968 رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الجديد ياسر عرفات في زيارته لموسكو ضمن الوفد

1. سنثيا إنكليزس، "موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير 1947-1982"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 149-148 (1985): 29.

2. هانتز، التورط السوفيتي، 106.

3. يزيد صايغ، الفلسطينيون في الحرب الباردة (فلسطين: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، 1997)، 12.

المصري بغية تقديمه إلى القادة السوفييت. وفي أعقاب هذه الزيارة بدأ الإعلام السوفيتي يشير بشكل إيجابي ومتكرر إلى "الأنصار الفلسطينيين"¹ وإلى المقاومة الفلسطينية، خاصة حركة فتح. وبدأ السوفييت يزودون الفلسطينيين بأسلحة ومعدات عسكرية بشكل غير مباشر عبر دول شرق أوروبا والدول العربية الحليفة.² وتجلى الدعم السوفيتي للقضية الفلسطينية عندما تمت اتصالات رسمية بين منظمة التحرير والاتحاد السوفيتي في شباط عام 1970، لدى زيارة وفد من منظمة التحرير موسكو لأول مرة تلبية لدعوة من اللجنة السوفيتية (أفروآسيوية)³ للتضامن مع بلدان آسيا وإفريقيا.

ولوحظت تطورات نوعية في العلاقات بين المنظمة والاتحاد السوفيتي فبعد حرب أكتوبر عام 1973، حث الأخير منظمة التحرير على الانضمام إلى العملية السلمية ووعدها بتبني مقترحاتها، مما شجع قيادة المنظمة لاتخاذ نهج باتجاه التسوية السياسية للقضية الفلسطينية، الأمر الذي أدى إلى موافقة الاتحاد السوفيتي عام 1974 على افتتاح ممثلية لمنظمة التحرير الفلسطينية في موسكو. وقد تميزت الفترة التي امتدت ما بين العامين 1970 و1982، بإقامة علاقات وثيقة ما بين منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفيتي وبزيادة دعمه لها، ففي خريف عام 1974 أيد السوفيت رسمياً فكرة إقامة دولة فلسطينية مستقلة، لكن هذا التحسن في هذه العلاقات كان يتعرض من وقت لآخر لبعض التوتر الناتج عن عدد من العوامل المتعلقة بالمصالح السوفيتية، من حيث مقدار ما تتأثر هذه

1. انكليزس، موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية، 26.

2. المرجع السابق، 26.

3. منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية: أنشئت عام 1957 تعنى بتوحيد شعوب قارتي آسيا وأفريقيا ضد الاستعمار والعنصرية والعمل من أجل السلام، وعقدت أول مؤتمراتها في القاهرة.

المصالح سلباً أم إيجاباً بالتقارب مع المنظمة أو بمعارضة سياستها، خاصة فيما يخص العلاقة بين الاتحاد السوفيتي من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى. ومما سبب التوتر في علاقات الجانبين التوقعات المفرطة للفلسطينيين وآمالهم في الدعم الكامل لأعمالهم وتصريحاتهم، وكذلك تطلع السوفيت إلى تقريب مواقف قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من المواقف السوفيتية، سواء فيما يتعلق بقضية التسوية في الشرق الأوسط أو في قضايا دولية أخرى، إضافة إلى تأثير الصراعات الداخلية في المنظمة، فعلى الرغم من القرب الأيدلوجي من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية إلا أن الاتحاد السوفيتي كان يقف موقفاً حذراً منهما إذ أخافه تطرفهما.¹

خامساً: الإعلان السوفيتي – الأمريكي بشأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

كان من أبرز التطورات في السياسة السوفيتية تجاه الصراع في الشرق الأوسط الإعلان السوفيتي الأمريكي المشترك بشأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ففي الأول من تشرين الأول عام 1977 دعا الرئيس الأمريكي جيمي كارتر وزير خارجية الاتحاد السوفيتي أندريه غروميكو، الذي كان يشارك في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك إلى الاجتماع به. وصدر عن ذلك الاجتماع بيان أمريكي سوفيتي مشترك حول الشرق الأوسط، أكد فيه الطرفان ضرورة العمل على عقد مؤتمر جنيف للسلام بمشاركة ممثلين عن الشعب الفلسطيني، والسعي من أجل حل المشكلة الفلسطينية على أساس

¹ فاسيليف إكسي، روسيا في الشرقين الأوسط والأدنى من الرسولية إلى البراغمية، موسكو، ترجمة المركز العربي للصحافة والنشر (القاهرة: 199، د.ن)، 33.

ضمان الحقوق المشروعة للفلسطينيين.¹ وجاء في الإعلان أن الدولتين (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي) مقتنعتان بأن المصالح الحيوية لشعوب المنطقة، بالإضافة إلى أهمية تقوية السلام والأمن الدولي بصفة عامة تُملّي بصفة عاجلة الحاجة إلى التوصل في أقرب وقت ممكن إلى تسوية عادلة ودائمة للصراع العربي الإسرائيلي. وأن تكون متضمنة لجميع الأطراف المعنية وشاملة لكل الموضوعات، وأنهما مقتنعان أيضاً بأنه في إطار التسوية الشاملة لمشكلة الشرق الأوسط يجب حل المشكلات الأساسية، ومنها انسحاب القوات الإسرائيلية من أراض عربية احتُلت خلال حرب حزيران 1967، وإنهاء حالة الحرب في المنطقة، وإنشاء علاقات سلام طبيعية على أساس الاعتراف المتبادل بمبادئ السيادة ووحدة الأراضي والاستقلال السياسي.²

إلا أنه ونتيجة الضغوط الشديدة التي تعرضت لها الولايات المتحدة من إسرائيل واللوبي اليهودي اضطرت إدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر إلى التراجع عن الإعلان، وأعلنت في بيان أصدرته في الرابع من تشرين الأول من العام ذاته، بأنها لا تتوي أن تفرض حلاً في الشرق الأوسط. وعادت وأصدرت في اليوم التالي بياناً مشتركاً مع إسرائيل، أعلن فيه الطرفان أن قبول الأطراف المعنية لما جاء في البيان الأمريكي السوفيتي ليس شرطاً مسبقاً لانعقاد مؤتمر جنيف للسلام، وأن أي تمثيل فلسطيني فيه يجب أن يكون من خارج منظمة التحرير الفلسطينية.³

¹. محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل- سلام الأوهام (القاهرة: دار الشروق، 2000)، 351.
². بيني موريس، ضحايا الصالحين - تاريخ من الصراع العربي الإسرائيلي 1881-1991 (ميتشغان: معهد الشرق الأوسط للدراسات، 2000)، 44.
³. هيكل، المفاوضات السرية، 352.

سادساً: الموقف من القضية الفلسطينية في عهد غورباتشوف

أُخرجت اتفاقية كامب ديفيد 1978،¹ التي وقعها الرئيس المصري السابق أنور السادات مع إسرائيل الاتحاد السوفيتي جزئياً من الشرق الأوسط. إلا أن ذلك لم يمنع السوفييت من تقديم الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية في إطار منافسته للولايات المتحدة بالمنطقة. وقد توج ذلك بدعوة الرئيس السوفيتي بريجنيف عام 1981 لعقد مؤتمر دولي لحل أزمة الشرق الأوسط وفقاً للمعايير والأسس التي وضعت في مؤتمر جنيف في الحادي والعشرين من كانون الأول عام 1973، وكان الجديد في هذا المشروع هو إشراك منظمة التحرير في المؤتمر كجزء من الطرف العربي، وبقيت السياسة السوفيتية تجاه المنطقة مستقرة حتى عام 1985 عند تولي ميخائيل غورباتشوف قيادة الاتحاد السوفيتي، حيث شهدت الأولويات السوفيتية تغيراً ملحوظاً ولم تعد الطموحات الخارجية تحتل المرتبة الأولى في سلم أولوياتها، وحلت مكانها الأولويات الداخلية من إعادة للبناء والإصلاح، وهي الحقبة التي أُطلق عليها اسم "البيريسترويكا"² وقاد غورباتشوف هذا التوجه على أمل تخفيف الأعباء الخارجية التي تعرقل البناء الداخلي، وهو ما أثر على الدور السوفيتي في القضية الفلسطينية، ولم يعد معنياً بإشغال نفسه في القضايا العالمية.

كما أنه لم يكن معنياً بتوتير علاقاته مع الغرب وإسرائيل. وكان يرى أن البيريسترويكا بحاجة إلى التكنولوجيا الغربية والمساعدات والتعاون في هذا المجال، مع اقتناعه بأن

¹ اتفاقية كامب ديفيد: اتفاقية تم التوقيع عليها في 17 أيلول عام 1978 بين الرئيس المصري محمد أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بعد 12 يوماً من المفاوضات في المنتجع الرناسي كامب ديفيد في ولاية ميريلاند القريب من العاصمة الأمريكية واشنطن.

² البيريسترويكا: وتعني «إعادة البناء» وهي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس الاتحاد السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشوف، وتشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي، وصاحبت البيريسترويكا سياسة "الجلاسنوست" والتي تعني الشفافية.

الدول العربية ليست بديلاً مناسباً للغرب في هذا المجال. وحتى في الجانب الاقتصادي اتفقت إسرائيل على إقامة علاقات تجارية مع الاتحاد السوفيتي مستغلة ظروفه الداخلية، واستمر هذا النهج في تنمية العلاقات السوفيتية الإسرائيلية والسوفيتية الغربية.¹ وقيد غياب العلاقات الرسمية السوفيتية مع إسرائيل الدبلوماسية الروسية في الشرق الأوسط. وصرح الرئيس غورباتشوف أن غياب العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل ليس أمراً طبيعياً، وتساءل الكسندر برفين سفير الاتحاد السوفيتي ومن ثم روسيا في إسرائيل: "من أجل ماذا قطعنا العلاقات مع إسرائيل؟ هل لإرضاء أصدقائنا العرب؟ أعتقد أن هذا سبب غير كاف، إن لدينا كدولة مصالح ثابتة في الشرق الأوسط، وتحمل هذه المصالح بالذات طابعاً متوازياً في العلاقات مع كل من العرب إسرائيل، وبانسحابنا من العلاقة مع إسرائيل خرقنا هذه الموازنة خرقاً عنيفاً، ووضعنا أنفسنا في وضع قابل للطعن تماماً، خاصة من قبل الأمريكيين، وألحقنا ضرراً سياسياً كبيراً بأنفسنا".²

وفي عام 1987 أرسل الاتحاد السوفيتي بعثة قنصلية إلى إسرائيل من أجل معالجة شؤون المواطنين السوفيت والممتلكات السوفيتية من أراضٍ وأبنية، بيد أنها بقيت هناك باستمرار عملياً، وضمت إلى قوامها ممثلاً سياسياً لوزارة الخارجية السوفيتية وليس القنصل فقط. وفي العام 1988 وصلت مجموعة قنصلية إسرائيلية إلى موسكو، وفي أواخر 1988 أقدمت الحكومتان على تعاون لم يسبق له مثيل حين سلم السوفيت خاطفي طائرة سوفيتية

1. الشوبكي، "سياسة روسيا الخارجية".
2. إلكسي، روسيا في الشرق الأوسط والأدنى، 61.

إلى إسرائيل، فيما أقدم الإسرائيليون على مساعدة منكوبي أرمينيا السوفيتية كما بدأ استئناف العلاقات الثقافية بينما تأخرت عملية استعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما حتى تشرين الأول عام 1991، بيد أن المسألة المطروحة على جدول الأعمال كانت أكثر أهمية بكثير من استعادة العلاقات الدبلوماسية، ألا وهي مسألة هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل.¹ وتراجع الاتحاد السوفيتي عن موقفه في الأمم المتحدة على اعتبار الصهيونية موازية للعنصرية، وقبل أسبوع من انعقاد مؤتمر مدريد عام 1991 قام بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل والتي كانت قد قطعت بعد حرب 1967.²

وخلاصة القول إن الاتحاد السوفيتي سعى جاهداً لإبراز دوره في حل قضايا الشرق الأوسط خصوصاً قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وكسب هيبه دولية من خلال الظهور بمظهر صانع سلام في المنطقة. انطلاقاً من مبدأ حفظ أمن جميع الدول بما فيها إسرائيل.³ مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه السياسة تجاه السعي السوفيتي لحل الصراع حكمتها تفاعلات دولية جعلت الموقف السوفيتي يتغير ما بين التأييد للفلسطينيين تارة وللإسرائيليين تارة أخرى وذلك حسب الرؤية السوفيتية بما يخدم مصالحه وأهدافه.

1. نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998)، 112.

2. الشيخ، صناعة القرار، 11-113.

3. فهمي عبد القادر محمد، "روسيا الاتحادية والوطن العربي: دراسة مقارنة للسلوك السياسي الخارجي السوفيتي حيال المنطقة العربية"، مجلة شؤون عربية، عدد 105، (2001)، 191.

الفصل الثاني

العلاقات الفلسطينية مع روسيا الاتحادية

المبحث الأول: العلاقات السياسية الفلسطينية – الروسية

مقدمة

إن الزلزال الكبير الذي تعرض له الاتحاد السوفيتي، وأدى إلى انهياره عام 1991، وظهور روسيا الاتحادية كورثة شرعية قانونياً له، لم يهز دول الاتحاد فحسب، وإنما كان له صدها وتداعياته على مستوى العالم. وقد حاولت روسيا بعد زوال الاتحاد السوفيتي تأكيد وجودها كقوة عظمى رغم ما مرت به من اضطراب تاريخي واستراتيجي، وتبنت إستراتيجية جديدة لها على المستويين الداخلي والخارجي. فالوضع الروسي الداخلي كان له تأثير مباشر في رسم تلك الإستراتيجية. هذا الوضع نشأ نتيجة اختلافات في التوجهات السياسية بين القوميين الروس الذين تبنا سياسة الاقتصاد الحر من جهة، والشيوعيين والقادة العسكريين في قوات الاتحاد السوفيتي السابق من جهة أخرى. والذين اختلفوا مع غيرهم حول ما إذا كانت روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي إمبراطورية ولها دور محوري في السياسات الدولية.¹ إضافة إلى الإضطرابات العرقية والنزعات الانفصالية التي سادت الساحة الروسية. كل ذلك في وقت ورث فيه الاتحاد الروسي مؤسسات مترهلة وفساداً استشرى في هذه المؤسسات، فيما انعدم الإنتاج في مجتمع فقد توازنه، فمنذ عام 1991 رافق المجتمع المدني في روسيا مستويات عالية من الفساد وتفشي الجريمة والحركات الانفصالية وعدم احترام العامّة لسيادة القانون.²

¹ Michael, Cox, The death of communism and the New Rethinking the Soviet collapse, Cassell (Lodon and New York,1998), 45

² Moran · John · From Garrison state to nation-state, Praeger (London,2002), 211.

الإنتقال على الشيوعية

كانت سياسة الرئيس بوريس يلتسين أول رئيس روسي تولى الحكم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تقضي بالتقارب مع الولايات المتحدة إلى حد التحالف معها إن أمكن ذلك، مما ساعد على الإنتقال للسياسات الليبرالية التي لقيت قبولاً لدى الغرب. ورأت الزعامة الروسية الجديدة أن الودّ مع الغرب والولايات المتحدة، هو طريق خلاص روسيا من الفوضى وحالة التخبط الداخلي. وفي هذا الإطار جعل يلتسين من العودة للشيوعية في روسيا أمراً مستحيلاً¹. إلا أنه ما لبث أن غيرَ توجهاته استجابة للضغوط الداخلية التي مورست عليه من أجل التركيز على سياسة تخدم المصالح الروسية، وتصنع لروسيا موقعاً على الساحة الدولية. وبدأ يظهر لروسيا دور نشط في التوجه إلى مناطق الشرق الأوسط والدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق. وقال يلتسين عام 1997 "إنني بالضدّ من توسيع التحركات الغربية في المناطق القريبة من روسيا، وإن إدارتي الحكومية وجدت أن مسألتي تنمية العلاقات بين دول الكومنولث، التي تساهم في إنشاء مؤسسات ديمقراطية في سياق مجموعة واسعة ومعقدة من التأثيرات²، واعتبر أن تقوية الصلات مع الصين وإيران والدول الإسلامية من أسياست أهداف الإستراتيجية الروسية"³.

وفرض هذا الواقع توجهات إستراتيجية لروسيا، فقد تم الإعلان عن بدء مرحلة اتسمت بالدعوة إلى إقامة بناء جديد وبنهج واقعي وقطع العلاقات بالشيوعية، وشطب ركائز الحرب الباردة من القاموس الروسي. وهذه السياسة عبر عنها الرئيس الروسي فلاديمير

¹ ليليا شيفتسوف، روسيا بورتين، ترجمة بسام شيجا (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006)، 92.

² RoI, Frank, Yaacov, In muslim Eurasia, Cass- (New York, 2004), 131.

³ لمى مضر الأمارة، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، 105.

بوتين بعد توليه السلطة بعد يلتسين بالقول أكثر من مرة: "لكي يكون لك مكان تحت الشمس، فلا بد أن تحتفظ بعلاقة جيدة مع الجميع"،¹ ووضحت فاعلية الإستراتيجية الروسية في توجيهها إلى حرية السوق، والعولمة، والتنافس على الأسواق، وأدركت روسيا أن معارضتها للأهداف الدولية الغربية أمر غير مرغوب فيه لمستقبل السياسة الخارجية الروسية، التي يجب أن تسعى لأن تصبح جزءاً من الغرب على الصعيد الدولي،² في وقت رفعت شعار أنها يجب أن تكون قوة حقيقية كبرى في إطار سياسة سلّمت بأن النفوذ الغربي والأمريكي في العالم حقيقة واقعة مع القناعة بعدم التفريط بالتراب الروسي. وفي إطار هذا التحول في السياسة الخارجية الروسية الجديدة وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين عام 1993 يمكن إجمال أبرز أشكال العلاقات الفلسطينية الروسية على النحو التالي:

أولاً: العلاقات الدبلوماسية الفلسطينية – الروسية

يعتبر البعض أن العلاقات الدبلوماسية بين السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا جاءت امتداداً لعلاقات بدأت بين الاتحاد السوفيتي السابق ومنظمة التحرير الفلسطينية، وأن روسيا التي ورثت الاتحاد السوفيتي، ورثت كذلك دعم عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية ووقفت إلى جانب الفلسطينيين لتحصيل حقوقهم المشروعة وإقامة دولتهم المستقلة، في

1. الأمانة الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة، 106.

2. Hopf, Ted, Understandings of Russian foreign policy, (University Press, Pennsylvania State, 1999). 145.

إطار شكل من العلاقات تطورت وبدأت تأخذ طابعاً جديداً بعد الانهيار الذي شهده الاتحاد السوفيتي، وذلك حسب ما أملت الظروف والمتغيرات على الساحة الدولية. ورغم أن اتفاقية أوسلو حظرت على السلطة الوطنية الفلسطينية القيام بأي نشاط دبلوماسي أو ممارسة العلاقات الدولية، إلا أن الفلسطينيين مارسوا العمل الدبلوماسي وقاموا بنشاطات متعددة. وساعدهم على ذلك أن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية يشغل منصباً آخر وهو رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، التي خولتها اتفاقية أوسلو ممارسة العمل الدبلوماسي لصالح السلطة الفلسطينية.¹ ففي فترات متقدمة من العام 1994 تزايدت الزيارات والدعوات الروسية لممثلي السلطة الوطنية الفلسطينية برئاسة الرئيس الراحل ياسر عرفات لزيارة موسكو ولقاء الرئيس يلتسين، وكان ذلك يتم في فترات متوازية مع دعوة رئيس وزراء إسرائيل آنذاك إسحاق رابين أيضاً لزيارة موسكو. واعتبر المسؤولون الروس هذه النشاطات بأنها محاولة لعودة روسيا الإتحادية للعب دور فاعل على الساحة الدولية، وتحديداً في منطقة الشرق الأوسط، وقضيته المتمثلة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي،² على اعتبار أن روسيا كانت ممن شارك بقيادة الرئيس ميخائيل غورباتشوف في عقد مؤتمر مدريد الأول للسلام في الشرق الأوسط عام 1991.

وفي العام 1995 بدأ عمل ممثلية روسيا لدى السلطة الفلسطينية في غزة، ثم تم نقلها عام 2004 إلى مدينة رام الله في الضفة الغربية،³ وتم تنشيط العمل الدبلوماسي الفلسطيني

¹ صالح عمر سرور، الدبلوماسية الفلسطينية تجاه القوى المؤثرة في عملية السلام منذ أوسلو، رسالة ماجستير (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2003)، 91.

² محمد حسنين هيكل، المقالات اليابانية (القاهرة: دار الشروق، 1997)، 99.

³ العلاقات الفلسطينية الروسية، www.moscownews-arabic.ru/issue

الروسي الذي أخذ بالتقارب من خلال الزيارات التي قام بها مسؤولون فلسطينيون إلى روسيا، ومنها زيارة العمل التي قام بها الرئيس ياسر عرفات إلى موسكو في نيسان 1994 والتقى خلالها الرئيس الروسي يلتسين، كما قام عرفات بالزيارة الرسمية الأولى بصفته رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية في شباط 1997، أجرى خلالها مباحثات مع الرئيس يلتسين، وقام بزيارة رسمية ثانية لموسكو في تشرين الأول 1998، وكانت قد سبقت هذه الزيارة زيارة لوزير خارجية روسيا سيرغي ستيباشين إلى غزة في كانون الأول 1998 أجرى خلالها مباحثات مع الرئيس عرفات تناولت الأوضاع في الأراضي الفلسطينية.¹

وبعد تسلم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين صلاحيات الرئيس يلتسين بالوكالة عام 1999 وتوليه السلطة كرئيس منتخب لروسيا الاتحادية عام 2000 استمر النشاط الدبلوماسي الفلسطيني الروسي، حيث زار الرئيس عرفات موسكو في أيار عام 2001 وأجرى مباحثات مع الرئيس بوتين. وبعد رحيل الرئيس عرفات في العام 2004 استمر النشاط الدبلوماسي بين الجانبين الفلسطيني والروسي. فقد التقى الرئيس محمود عباس في كانون الثاني عام 2005 الرئيس بوتين في موسكو، وتم خلال اللقاء التأكيد على تمسك الجانبين بالتسوية الدبلوماسية للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وفي نفس العام قام الرئيس بوتين بزيارة للأراضي الفلسطينية والتقى الرئيس محمود عباس في رام الله، وتوالت زيارات الرئيس عباس لموسكو في فترة حكم بوتين حيث زارها للمرة الرابعة في كانون أول عام

¹. سعيد أبو عبا، العلاقات الفلسطينية- الروسية (رام الله: منشورات جمعية أصدقاء وخريجي جامعات ومعاهد رابطة الدول المستقلة في فلسطين، 2008)،
pulpit.alwatanvoice.com/content-146712.html

2008، والتقى العديد من الشخصيات السياسية البارزة في موسكو وبحث معهم موضوع

مؤتمر السلام الذي دعت روسيا لعقده في موسكو.¹

وبعد تولي الرئيس ديمتري ميدفيديف السلطة في روسيا عام 2008 خلفاً للرئيس بوتين

تواصل التعاون والنشاط الدبلوماسي الفلسطيني – الروسي، فقد زار الرئيس عباس

موسكو في نيسان عام 2009 وأجرى مباحثات مع الرئيس ميدفيديف،² كما زارها في

كانون الثاني 2010 وأجرى خلال زيارته محادثات مع المسؤولين الروس وعلى رأسهم

الرئيس الروسي ووزير خارجيته سيرغي لافروف الذي قال "إن عباس يزور روسيا

بانتظام وإن مشكلة وحدة الشعب الفلسطيني كانت دائماً مصدر قلق بالنسبة لروسيا".³

وخلال مؤتمر الدول الثماني المعروف باسم (G8)⁴ الذي عُقد في كندا في حزيران عام

2002، حدد وزير خارجية الولايات المتحدة موقف بلاده من العملية السلمية وحددها في

نقاط أهمها قيام دولتين فلسطينية وإسرائيلية دون تحديد موعد قيام أو شكل الدولة

الفلسطينية. واتهم السلطة الوطنية الفلسطينية بالفشل في تحمل مسؤوليات دورها، مطالباً

إياها بالبداية بإصلاحات داخلية، وإيجاد قيادة فلسطينية جديدة، إلا أن روسيا عارضت

الموقف الأمريكي، ورأت فيه خطورة على القضية الفلسطينية، كونه لا يضع حدوداً نهائية

لتلك الدولة. مما يعني بنظر موسكو قيام دولة دون صلاحيات حقيقية، ودون أن تكون

¹ أندريه مورتازين، 2008، ar.rian.ru

² palestinefuture.net/news.php

³ www.alittihad.ae/details.php

⁴ مجموعة الدول الثماني (G8): تضم الدول الصناعية الكبرى في العالم وأعضاؤها الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ألمانيا، إيطاليا،

المملكة المتحدة، فرنسا، وكندا، وكانت تسمى مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى إلى أن تم ضم روسيا لها عام 1979 نظراً لوزنها

السياسي كدولة كبرى على الساحة الدولية.

أصلاً قائمة على أرض الواقع. وأكد وزير الخارجية الروسي في حينه إيغور إيفانوف أنه سبق وأن تم إعلان استقلال فلسطين عام 1988 مع اعتراف دولي واسع بها، دون تحقيق مردود إيجابي لذلك الإعلان، كما عارضت روسيا فكرة عزل الرئيس عرفات أو فرض قيادة فلسطينية جديدة، معتبرة ذلك سابقة خطيرة قد تتكرر في أي دولة من دول العالم لا ترضى الولايات المتحدة الأمريكية عن حكومتها أو رئيسها أو قيادتها.¹ ورأت روسيا الاتحادية في عدم تحديد خط الرابع من حزيران عام 1967 خطأً فاصلاً لانسحاب القوات الإسرائيلية أنه انحياز أمريكي لإسرائيل، ويعبر عن عدم رغبة جادة وحقيقية من قبل الإدارة الأمريكية في حل قضية الشرق الأوسط.

وخلال مراسم تكريم السفير الفلسطيني لدى موسكو عام 1996، أكدت روسيا على عمق العلاقة الفلسطينية – الروسية، ووصفتها بأنها إحدى مرتكزات السياسة الخارجية الروسية المهمة في الشرق الأوسط، وأشار نائب وزير الخارجية الروسي في حينه ألكسندر سلطانوف أن هذه العلاقة تتطور بشكل مهم وكبير، مؤكداً على وجود حوار وتفاهم فلسطيني روسي عميق جداً. وفي العام 2009 قامت روسيا بإغلاق مكاتب تشجيع الهجرة بينها وبين إسرائيل،² ورأت أن من حق شعب فلسطين تقرير مصيره بنفسه، كما أعلن الرئيس بوتين أن بلاده مستعدة للقيام بدور متعاون من أجل تحقيق التسوية الشاملة وإيجاد حل عادل وشامل فيما يتعلق بالصراع العربي الفلسطيني الإسرائيلي، معتبراً روسيا مكتملة لدور الاتحاد السوفيتي السابق.

¹. إثناء فؤاد عبد الله، ماذا بعد انهيار عملية التسوية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، 343.
². محسن محمد صالح، محرر، القضية الفلسطينية والوضع الدولي، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، 254.

ثانياً: الدعم الروسي للسلطة الوطنية الفلسطينية

ساعدت العلاقة السياسية بين السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا الاتحادية في إقامة علاقات اقتصادية بين الطرفين، ولم تغفل روسيا خلال مراحل تدخلها في العملية السلمية في الشرق الأوسط المسألة الاقتصادية، وحاجة السلطة الوطنية الفلسطينية الناشئة للدعم الاقتصادي وغيره من المجالات الأخرى. فقامت بإمدادها بالمساعدات والمعدات العسكرية والأسلحة الخفيفة إضافة إلى رفع مستوى التدريب العسكري والأمني للطرف الفلسطيني، حيث قدمت الحكومة الروسية 50 مصفحة للشرطة الفلسطينية دون مقابل، وتم تدريب عدد من قادة وأفراد الشرطة في الأراضي الروسية.¹ وفي عام 2005 وأثناء زيارة الرئيس بوتين للسلطة الوطنية الفلسطينية تعهد بدعمها فنياً إلى جانب دعمها دبلوماسياً،² كما دعمت روسيا الاتحادية السلطة الوطنية الفلسطينية من خلال مشاركة الخبراء والشركاء الروس في عملية إعادة البنية التحتية في فلسطين، فقد رأت أن دعم السلطة الفلسطينية في مجال البناء والخدمات يساهم في زيادة نشاطها الاقتصادي، ويساعدها على تجاوز الكثير من مشاكلها الداخلية ويجعلها قادرة على بناء مقومات الدولة الفلسطينية ومؤسساتها في حال إقامتها.³

كما قدم الجانب الروسي الدعم السياسي للجانب الفلسطيني في عدد من المنظمات والمؤسسات الدولية، كمجلس الأمن الدولي واللجنة الرباعية⁴ التي تعد روسيا عضواً دائماً

¹ مقابلة الباحثة مع أحد مسؤولي إدارة أوروبا في وزارة الخارجية الفلسطينية

² الشيخ، "السياسة الروسية في المنطقة العربية، المنطلقات وحدود الدور"، مجلة شؤون عربية، عدد 129 (2007): 90.

³ عبد القادر، "روسيا الاتحادية والوطن العربي"، 183 - 208.

* اللجنة الرباعية الدولية: أحياناً تسمى اللجنة الدبلوماسية الرباعية أو رباعية مدريد أو فقط الرباعية، هي لجنة دولية فوقية في عملية السلام في الصراع العربي الإسرائيلي. الرباعي هم الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. أنشئت في مدريد عام 2002.

⁴ اللجنة الرباعية الدولية: أحياناً تسمى اللجنة الدبلوماسية الرباعية أو رباعية مدريد أو فقط الرباعية، هي لجنة دولية فوقية في عملية

في كليهما، مؤكدة أنها ليس لديها أي تردد في دعم أي مطلب فلسطيني في أي منظمة دولية تعد روسيا عضواً فيها، وتجلّى الدعم الروسي للسلطة الوطنية الفلسطينية في تأكيدها دعم الخيار الفلسطيني بالتوجه إلى مجلس الأمن الدولي أو الجمعية العامة لطلب اعتراف دولي بالدولة الفلسطينية في حال فشل المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. ولم يطرأ على الموقف الروسي أي تغيير يذكر منذ العام 2009،¹ كون روسيا دأبت على التأكيد من خلال اللجنة الرباعية على ضرورة إقامة دولة فلسطينية مستقلة بعاصمتها القدس الشرقية ووقف الاستيطان، وعودة أو تعويض اللاجئين الفلسطينيين.

وخلال تسلم السفير الروسي ألكساندر روداكوف مهام عمله كممثل جديد لروسيا الاتحادية لدى السلطة الفلسطينية في السابع من تشرين الثاني من العام 2010، أكد روداكوف على ثبات موقف بلاده في دعم مسار عملية السلام التي تؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة على حدود الرابع من حزيران عام 1967، مشيراً إلى أن بلاده كانت وما زالت تعتبر القضية الفلسطينية قضية محورية في الصراع بالمنطقة، وأن الإستييطان الإسرائيلي بكافة أشكاله غير شرعي، ويشكل عقبة أمام إحلال سلام شامل وعادل بين الفلسطينيين والإسرائيليين يتطلع إليه كامل المجتمع الدولي وليس شعوب المنطقة فقط. وأكد أن روسيا الاتحادية مستمرة بتقديم كافة الدعم والمساندة للسلطة الفلسطينية ورئيسها محمود عباس،² ووقوف بلاده حكومياً وشعبياً إلى جانب الشعب الفلسطيني ونضاله من أجل التحرر

السلام في الصراع العربي الإسرائيلي. الرباعي هم الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. أنشئت في مدريد عام 2002.

¹ عبد القادر، "روسيا الاتحادية والوطن العربي"، 183 - 208.

² www.maannnews.net

والاستقلال، وتحقيق آماله في بناء دولته المستقلة بعاصمتها القدس الشرقية. وأشار إلى سعي الاتحاد الروسي المستمر لدفع عملية السلام إلى الأمام وتحسين الأوضاع بالمنطقة.¹

ثالثاً: العلاقة الروسية مع الفصائل الفلسطينية

ارتبطت الفصائل الفلسطينية بعلاقات مع موسكو زمن الاتحاد السوفيتي السابق، وتواصلت في عهد دولة روسيا الاتحادية. وكان لصعود حركة فتح كتيار وطني عريض، أثر هام على سياسة منظمة التحرير الفلسطينية التي أدركت بدورها الدور المركزي لموسكو وواشنطن في الصراع العربي الإسرائيلي، حيث إن المنظمة أفرزت السلطة الوطنية الفلسطينية التي لحركة فتح وزن كبير في تشكيلها، بمشاركة بقية الفصائل الفلسطينية، ومنها الفصائل التي اتخذت برنامجاً سياسياً يسارياً مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وجبهة التحرير الفلسطينية المنشقة عنها، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وجبهة النضال الشعبي، وحزب الشعب الفلسطيني وهو حزب اشتراكي ويعتبر امتداداً للحزب الشيوعي الفلسطيني السابق.² وبعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية بدأت موسكو بالتعامل مع كافة الفصائل في إطار هذه السلطة التي ضمت معظم هذه الفصائل، حيث تربطها بحركة فتح علاقات صداقة قديمة، وكذلك بالفصائل الفلسطينية اليسارية، بعيداً عن المبادئ الأيدلوجية لهذه الفصائل التي ارتبط بعضها بالشيوعية التي تخلت عنها روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وأصبح التعامل الروسي مع تلك الفصائل ليس على

¹. صحيفة الأيام الفلسطينية 4-11-2010، 8.

². صايغ، الفلسطينيون، 7-27.

أساس فصائلي منفرد، وإنما على أساس أنها تشكل بمجموعها هياكل السلطة الوطنية الفلسطينية، التي اقتصر التعامل الروسي مع الفلسطينيين من خلالها ومعها، في الوقت الذي تُظهر فيه موسكو متانة العلاقة مع هذه الفصائل، ففي مهرجان أقيم في العاصمة الروسية موسكو في شباط عام 2009 بمناسبة الذكرى الأربعين لانطلاق الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وتأكيداً على متانة العلاقة بين الجبهة وروسيا "أكد غينادي زوغانوف الأمين العام للحزب الشيوعي على الدور الريادي للجبهة في النضال الفلسطيني وأوصر العلاقات الكفاحية والرؤى المشتركة بينها وبين روسيا".¹ وقد حاولت روسيا استغلال موقعها المعنوي عند الفصائل اليسارية لتقريب وجهات النظر الفلسطينية، وتوحيدها في إطار رؤية إستراتيجية واحدة بشأن إنهاء الصراع في المنطقة،² وتوحيد الصف الفلسطيني بعد استيلاء حركة حماس على قطاع غزة، حيث تلتقي في محاور عديدة وجهات نظر فصائل اليسار الفلسطيني مع الرؤية الروسية في هذا الشأن.

رابعاً: علاقة روسيا مع حركة حماس

من أبرز التطورات في العلاقات الفلسطينية الروسية ما يتعلق بتعاطي روسيا مع حركة حماس بعد فوزها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية عام 2006، فكان فوز حماس فرصة لروسيا للوقوف في وجه الولايات المتحدة والغرب، بعد أن تم إدراج الحركة على قائمة الإرهاب الدولي لدى الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي، حيث

1. www.palintefada.com/arabic/articles/details/9/8818.htm

2. أحمد عبيد القومى، لعبة الكبار في العملية السلمية، محاضرة في جامعة النجاح الوطنية (نابلس، 2006).

وجهت روسيا دعوة لقادة الحركة لزيارة موسكو، الأمر الذي أثار غضب الولايات المتحدة، إلا أن السفير الروسي في إسرائيل بيتر ستغانيبي أوضح أن روسيا ستنتقل للحركة ضرورة قبولها بشروط الرباعية الدولية، التي تقضي الاعتراف بدولة إسرائيل وبالاتفاقيات المبرمة معها، ونبذ العنف، ورفض الإرهاب"¹، الأمر الذي خفف من حدة الغضب الأمريكي.

وتشير الدراسات إلى أن علاقة روسيا بحماس جاءت من منطلق كسب دور مهم في الموضوع الفلسطيني، وتعديل صورتها أمام العالمين العربي والإسلامي تلك الصورة التي تشوهت كثيراً بعد حربها في الشيشان، ولتبرهن أن موقفها تجاه حماس والحركات الإسلامية الأخرى، ليس موقفاً دينياً كما تدعي الحركات الشيشانية² بصفتها مصدر قلق داخلي للحكومة الروسية. كما أنه يجب عدم إغفال الرغبة الروسية من وراء هذه العلاقة الإبقاء على القبضة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط رخوة قدر الإمكان، حتى يتسنى لها الدخول والتغلغل إلى تلك المنطقة، إضافة إلى ذلك فإن موسكو رغبت من انفتاحها على حركة حماس — حسب بعض المحللين — الرد على إسرائيل التي اتهمت موسكو بالتآمر عليها خلال حربها في جورجيا. كما أن علاقة روسيا مع إيران من جهة وسوريا من جهة أخرى جعلها أقل حدةً في تعاملها مع حماس. معتقدة أن أي علاقة من هذا النوع

1. مصطفى يوسف الداوي، عرب تايمز، 2010، www.arabtimes.com/portal/article

2. الحركات الشيشانية: بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 أعلن الشيشان استقلال بلادهم الواقعة جنوب روسيا بقيادة جوهر دوداييف، وجرت حرب ضروس عام 1994 وانتهت عام 1997 ثم تجدد القتال عام 1999 ومازال الوضع غير مستقر وإن كان ثمة سيطرة عسكرية للروس على مناطق الشيشان.

قد تنعكس إيجاباً على سياستها الخارجية حتى فيما يتعلق بمشاكلها الداخلية. وتمكنت موسكو من خلال حوارها مع حماس وفقاً لما جاء على لسان وزير خارجيتها سيرجي لافروف من الضغط على الحركة في بعض المواقف المتطرفة.¹

ورغم زيارة وفد حماس إلى موسكو مرتين الأولى عام 2006 والثانية عام 2007 إلا أن الرئيس بوتين لم يلتق وفد الحركة في كلا الزيارتين.² وبغض النظر عن التحليلات بشأن دعوة روسيا لوفد حماس لزيارة موسكو، إلا أن لها موقف معلن وهو التأكيد على محاولتها التدخل لحل الخلاف بين حركتي فتح وحماس بعد انقلاب الأخيرة في قطاع غزة مما أدى إلى شق الصف الفلسطيني، والمساهمة في المصالحة الداخلية الفلسطينية، كون الموقف الروسي فسر النزاع الفلسطيني الداخلي بأنه "ناجم عن تدخل عناصر خارجية".³ رغم كل ذلك يجب الإشارة إلى أن الموقف الروسي من حماس والدعوات المتكررة للحركة لزيارة موسكو وتليبيتها لتلك الدعوات إلا أن ذلك لم يشكل أية حساسية للسلطة الوطنية الفلسطينية، ولم تتأثر علاقتها مع موسكو في أي جانب من الجوانب. وتعاملت القيادة الفلسطينية مع الجهود الروسية لإتمام المصالحة الداخلية الفلسطينية بشكل إيجابي، وأبقت على علاقاتها الجيدة مع موسكو التي حرصت على تعزيز دور وقوة الرئيس محمود عباس الذي تربطه شخصياً وتربط حركة فتح بموسكو علاقات قديمة ووثيقة.

¹. صالح، القضية الفلسطينية، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007، 255.
². صالح، القضية الفلسطينية، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007، 218.
³. المرجع السابق، 256.

في ظل كافة المعطيات فقد غلبت صفة التوازن على سياسة موسكو تجاه القضية الفلسطينية سواء بشأن علاقاتها مع إسرائيل، أو موقفها من مختلف الفصائل الفلسطينية، ورغبتها في إنهاء الصراع الداخلي الفلسطيني – الفلسطيني حفاظاً على وحدة الصف الوطني لدى الفلسطينيين خدمة لهم من جهة ولأمنها القومي من جهة أخرى.¹

خامساً: الدعم الروسي للموقف الفلسطيني في المنظمات الدولية

قدمت روسيا للفلسطينيين دعماً في المحافل الدولية، وإن لم يكن له الأثر البالغ في تغيير نمط إدارة الصراع في الشرق الأوسط، إلا أنه حدّ ولو جزئياً من مواصلة إسرائيل تنفيذ كامل مخططاتها العدوانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد ساندت روسيا وصوتت في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة على عشرات القرارات التي انتزعت لصالح الفلسطينيين، وتدين ممارسات إسرائيل العدوانية عليهم في الأراضي المحتلة، ومن هذه القرارات القرار رقم 6/10 بتاريخ 9 شباط 1999 الذي طالب سلطات الاحتلال الإسرائيلي بالوقف الفوري والكامل لأعمال البناء في مستوطنة جبل أبو غنيم في مدينة القدس المحتلة، والطلب من الدول الأعضاء وقف المساعدة والدعم للأنشطة الإسرائيلية غير القانونية في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس، والقرار 42/54 بتاريخ 1 كانون الأول 1999 الذي أكد مجدداً على ضرورة التوصل إلى تسوية سلمية للقضية الفلسطينية، والإعراب عن التأييد الكامل لعملية السلام.² ورحبت روسيا بدعوة الأمين

¹. المرجع السابق، 256..
² www.malaf.info

العام للأمم المتحدة إلى استقاء معلومات دقيقة بشأن أحداث مخيم جنين خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000 عن طريق فريق لتقصي الحقائق، كما أصدر المجلس قراراً في أيلول 2002 طالب فيه إسرائيل بوقف جميع أعمال العنف بحق المواطنين الفلسطينيين وممتلكاتهم، وانسحاب قواتها من المدن الفلسطينية التي تم احتلالها خلال تلك الانتفاضة. وفي ذات العام أصدر قراراً طالب فيه إسرائيل احترام التزاماتها بموجب القانون الإنساني الدولي، والإصرار على ضرورة التزامها بعدم هدم المنازل، وأعرب عن قلقه إزاء الحالة الإنسانية للفلسطينيين. وفيما يتعلق بتنفيذ خطة خريطة الطريق¹ صوتت روسيا لصالح قرار 1515 بتاريخ 19 تشرين الثاني 2003 الذي يؤيد خريطة الطريق التي وضعتها اللجنة الرباعية لإيجاد حل دائم للصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس وجود دولتين.

كما صوتت إلى جانب عشرات القرارات التي صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي شجبت السياسات والممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني، وأكدت أن المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس غير قانونية²، حيث يؤكد قرار 37/54 بتاريخ 1 كانون الأول 1999 أن أية إجراءات تتخذها إسرائيل لفرض قوانينها على مدينة القدس هي إجراءات غير قانونية وملغية وباطلة. إضافة إلى المساهمة في استصدار العديد من القرارات التي أكدت على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير. "وأدانت العنف الذي وقع يوم 28 أيلول 2000

¹ خريطة الطريق: هو الاسم الذي أطلق على مبادرة سلام في الشرق الأوسط. وكان هدف المبادرة البدء بمحادثات للتوصل إلى حل نهائي وتسوية سلمية للصراع في المنطقة من خلال إقامة دولة فلسطينية بحلول عام 2005
² www.malaf.info

والأيام التي تلتها في الحرم القدسي الشريف، واستعمال القوة بصورة مفرطة من جانب القوات الإسرائيلية ضد المدنيين الفلسطينيين".¹

كما ساهمت روسيا في استصدار العديد من قرارات المؤسسات الدولية المساندة للفلسطينيين والقضية الفلسطينية، منها قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي التي نصت على ضرورة تقديم المساعدة المالية والتقنية للمرأة الفلسطينية، وإدراك الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال الإسرائيلي على الأحوال المعيشية للشعب الفلسطيني، ومن هذه القرارات أيضاً قرار رقم 311/2000 بتاريخ 22 تشرين الثاني عام 2000 الذي يدعو إلى تأييد مقررات لجنة حقوق الإنسان بشأن الانتهاكات الخطرة والجسيمة من جانب إسرائيل لحقوق الإنسان الفلسطيني. وقرار رقم 42/2003 بتاريخ 22 تموز عام 2003 الذي يطالب المجتمع الدولي بمواصلة تقديم المساعدة والخدمات للتخفيف من حدة الأزمة الإنسانية التي تواجهها النساء الفلسطينيات. إلى جانب قرار 59/2003 بتاريخ 24 تموز 2003 ويشير إلى إدراك الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال الإسرائيلي على الأحوال المعيشية للشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس.²

إضافة إلى قرارات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) بشأن تأييد انضمام فلسطين إلى عضوية اليونسكو. وتنفيذ قرار سابق متعلق بالمؤسسات التعليمية

¹. منى نصولي وآخرون، قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، 1999-2004 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، 33-56.

². apps.who.int/gb/ebwha/pdf_files/WHA63/A63.

والتقافية في الأراضي العربية المحتلة الذي أعرب عن الشعور بالقلق العميق إزاء الخطر الذي تواجهه الأراضي الفلسطينية والذي يمس حق الأطفال الفلسطينيين في التعليم. ومن اليونسكو أيضاً القرار 156 بتاريخ حزيران عام 1999 بشأن تنفيذ قرارات سابقة لليونسكو تتعلق بصون التراث الديني والثقافي والتاريخي لمدينة القدس المحتلة. والقرار رقم 164 بتاريخ أيار 2002 ويدعو مدير عام المنظمة لمواصلة إعداد مشاريع لإعادة بناء النظم التعليمية والثقافية والإعلامية في فلسطين وإصلاحها، ومواصلة الجهود من أجل تنفيذ جميع القرارات السابقة المتعلقة بالقدس المحتلة.

ومن القرارات أيضاً قرارات منظمة الصحة العالمية الذي دعت فيه إسرائيل إلى عدم عرقلة مساعي وزارة الصحة الفلسطينية في الاضطلاع بكامل مسؤوليتها عن الشعب الفلسطيني، بمن فيهم سكان القدس الشرقية المحتلة.¹ ومن قرارات منظمة الصحة العالمية كذلك القرار رقم ج ص ع 13 بتاريخ 20 أيار 2000، ويدعو إلى مساواة مشاركة فلسطين في منظمة الصحة العالمية، مع مشاركتها في الأمم المتحدة. والقرار رقم ج ص ع 55 بتاريخ 17 أيار 2002 الذي يدين الغزو العسكري الإسرائيلي للمخيمات والمدن الفلسطينية، وممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد المستشفيات والمرضى، والطلب من المديرية العامة للمنظمة اتخاذ خطوات عاجلة لدعم وزارة الصحة الفلسطينية في جهودها من أجل تذليل الصعوبات التي تواجهها، والقرار رقم ج ص ع 57 بتاريخ 21 أيار 2004

¹ apps.who.int/gb/ebwha/pdf_files/WHA63/A63.

الذي دعا إسرائيل إلى وقف جميع ممارساتها وسياساتها التي تؤثر تأثيراً خطراً على الأحوال الصحية للمدنيين الفلسطينيين في ظل الاحتلال.

إضافة إلى موافقة روسيا على جملة من القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والتنمية التي تخص الفلسطينيين وقضيتهم. منها قرار 73/54 بتاريخ 6 كانون الأول 1999 ويطالب إسرائيل بالقبول بأن تنطبق اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967 بما فيها القدس. وقرار 76/54 بتاريخ 6 كانون الأول 1999 الذي يشجب السياسات والممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان الفلسطيني. وقرار 69/54 بتاريخ 6 كانون الأول 1999 يحث جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على تقديم المعونة والمساعدة للشعب الفلسطيني.

وفيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين صوتت روسيا على القرار رقم 57/56 بتاريخ 10 كانون الأول عام 2001 الذي يؤكد أن للاجئين الفلسطينيين الحق في ممتلكاتهم التي سلبتها منهم إسرائيل وفي الإيرادات الآتية منها، وقرار رقم 120/57 بتاريخ 11 كانون الأول عام 2002 والذي حث جميع الدول على تقديم الهبات والمنح الدراسية للتعليم العالي والتدريب المهني للاجئين الفلسطينيين. إلى جانب قرار رقم 123/57 بتاريخ 11 كانون الأول من ذات العام يؤكد الحاجة إلى إنشاء جامعة القدس للاجئين الفلسطينيين.

ومن قرارات لجنة حقوق الإنسان التي وافقت عليها روسيا قرار رقم 7/1999 بتاريخ 23 نيسان 1999، الذي يعرب عن القلق البالغ إزاء أنشطة الاستيطان الإسرائيلي وتزايدها منذ توقيع مذكرة واي ريفر¹ في 23 تشرين الثاني عام 1998، ومطالبة إسرائيل بأن تُقرن التزامها المُعلن بعملية السلام بإجراءات ملموسة. وبأن تكف عن سياستها في توسيع المستوطنات وتوطين مستوطنين جدد.² وقرار رقم 55/1999 بتاريخ 27 نيسان 1999 الذي أكد من جديد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، بما في ذلك خياره في إقامة دولته المستقلة. والطلب من الأمين العام إحالة هذا القرار على حكومة إسرائيل والحكومات الأخرى، وتوفير جميع المعلومات المتصلة بتنفيذ إسرائيل لهذا القرار. وقرار رقم 7/2001 بتاريخ 18 نيسان عام 2001 ويعرب عن بالغ القلق إزاء تدهور حالة حقوق الإنسان والأوضاع الإنسانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والطلب من هيئات الأمم المتحدة النظر في أفضل الطرق لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني.

ومن قرارات منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (اليونيدو) التي ساهمت روسيا في استصدارها القرار رقم م ع 10/ق 9 بتاريخ 5 كانون الأول عام 2003، الداعي إلى التشديد على ضرورة مواصلة تنفيذ البرنامج المتكامل لدعم القطاع الصناعي الفلسطيني. كما وافقت روسيا على عدد من قرارات الاتحاد الدولي للاتصالات ومنها القرار رقم

¹ مذكرة واي ريفر: تم توقيعها في 23 تشرين الأول عام 1998م بعد مفاوضات استمرت ثمانية أيام ووقع الاتفاق كل من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتانياهو، وحضر حفل التوقيع كل من الرئيس الأمريكي بيل كلينتون والملك حسين. ونصت في أحد بنودها على إعادة انتشار إعادة انتشار القوات الإسرائيلية في 13% من أراضي الضفة الغربية، وأن يتم استئناف مفاوضات الوضع النهائي والتوصل إلى اتفاق قبل الرابع من حزيران عام 1999.

² نصولي، قرارات الأمم المتحدة، 33-56.

125 بتاريخ 2002 الذي دعا إلى تقديم المساعدة والدعم للسلطة الوطنية الفلسطينية لإعادة بناء شبكات اتصالاتها.

ومن القرارات أيضاً قرار 109/57 بتاريخ 3 كانون الأول 2002 ويطلب متابعة نشر المعلومات ذات الصلة بقضية فلسطين وأنشطة الأمم المتحدة المتصلة بها. وفيما يتعلق بجدار الفصل العنصري الذي أقامته إسرائيل على الأراضي الفلسطينية وافقت روسيا على قرار الأمم المتحدة 13/10 بتاريخ 21 تشرين الأول 2003 الذي طالب إسرائيل بوقف وإلغاء تشييد الجدار في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية وما حولها.

وكانت آخر مساندة روسية للفلسطينيين في المحافل الدولية، تأييد روسيا لمشروع قرار قدمته المجموعة العربية في مجلس الأمن بتاريخ 18 شباط 2011 يدين الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، والذي تم إحباطه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية باستخدامها حق النقض (الفيتو) لصالح إسرائيل، فيما دعت روسيا إلى إرسال وفد من مجلس الأمن إلى المنطقة لتقصي الحقائق.¹

¹ ar.rian.ru/policy/arabic_affairs .

المبحث الثاني: الاتفاقيات الفلسطينية الروسية

مقدمة

إن السلطة الفلسطينية بحاجة إلى دعم وتمويل مادي واقتصادي، حيث إن الدعم والتمويل من العناصر الأساسية لعملية التنمية بكافة أشكالها، في وضع اتسم بزيادة النفقات على حساب الإيرادات، مما يتطلب تمويلاً لسد الفجوة الحاصلة بينهما، ويتأتى ذلك من خلال المساعدات والمنح الخارجية. من هنا تأتي أهمية المساعدات الخارجية المقدمة للسلطة الفلسطينية، في ظل توافر مجموعة من الإمتيازات والإيجابيات التي ينبغي الإستفادة منها في عملية البناء الفلسطيني،¹ وهذا بدوره يُتيح الفرصة أمام السلطة الوطنية الفلسطينية لتوجيه تلك الأموال والمساعدات التي تحصل عليها في عملية التنمية الاقتصادية.

أولاً: اتفاقيات التعاون بين السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا الاتحادية

من منطلق أن التجارة المتبادلة تعتبر عاملاً مهماً وضرورياً لتطوير العلاقات الثنائية على أساس مستقر وطويل الأمد، ورغبة كل من السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا الاتحادية في تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بينهما على أساس المساواة والمنفعة المتبادلة، وسعيًا لإيجاد ظروف ملائمة لتطوير الاتصالات بين رجال الأعمال الفلسطينيين والروس، قام الطرفان الفلسطيني والروسي بتوقيع عدة اتفاقيات في الفترة ما بين عامي 1991_2010، ففي نيسان عام 1994 وقّعت اتفاقية للتعاون الثقافي والعلمي، وفي تشرين الأول

¹ عدوان طالب، المساعدات الخارجية للضفة الغربية وقطاع غزة، دراسة حالة المساعدات الألمانية، رسالة ماجستير (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 1997)، 30-

عام 1998 تم توقيع اتفاقية التعاون التجاري والاقتصادي بين الطرفين، نصت على تعهد الجانبين بالقيام بكافة الإجراءات الضرورية لضمان تطوير وتشجيع التجارة المتبادلة، والتعاون الاقتصادي بمختلف أشكاله، كما منح الجانبان أحدهما الآخر نظام الدولة الأكثر رعاية في جميع الشؤون المتعلقة بتجارة البضائع والتعاون الاقتصادي، وتحديداً بما يخص الرسوم الجمركية والضرائب والاستيراد والتصدير. واتفق الطرفان على تبادل المعلومات والخدمات الاستشارية في جميع القضايا التي تساعد على تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية المتبادلة، إضافة إلى تشجيع وتطوير الاتصالات بين غرفهما التجارية وغيرها من جمعيات الأعمال، وتشجيع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في كلا البلدين على التعاون من أجل إنشاء علاقات تجارية واقتصادية، وإنشاء مؤسسات مشتركة بين السلطة الوطنية الفلسطينية وحكومة روسيا الاتحادية.¹

وفي ذات عام 1998 تم تأسيس جمعية الصداقة الفلسطينية الروسية، التي يُعَدُّ الرئيس الفلسطيني محمود عباس رئيساً فخرياً لها،² يتم من خلالها تقديم مساعدات متنوعة للفلسطينيين المقيمين في روسيا، خاصة الطلبة الدارسين في الجامعات الروسية، من خلال تغطية شاملة لنفقاتهم،³ وفي حزيران عام 2000 وقّعت اتفاقية التعاون والتفاهم بين دائرة الأمن الفيدرالية الروسية وجهاز الأمن الفلسطيني، وفي كانون الثاني من ذات العام تم توقيع اتفاقية لإنشاء خط جوي مباشر بين موسكو ومطار غزة الدولي،⁴ وفي العام 2008 تشكل مجلس الأعمال الفلسطيني الروسي المشترك من رجال أعمال فلسطينيين وروس،

¹ تم الحصول على مسودة اتفاقية التعاون التجاري والاقتصادي بين حكومة روسيا الاتحادية ومنظمة التحرير الفلسطينية، الممثلة لمصالح السلطة الوطنية الفلسطينية من وزارة الاقتصاد الوطني الفلسطيني (رام الله: 30-11-2010).

² الشوبكي، سياسة روسيا الخارجية.

³ يوسف الشايب، العلاقات الفلسطينية الروسية جنود ضاربة بالقدم تتجاوز الدعم السياسي، (صحيفة الأيام الفلسطينية، 19-1-2011)، 4.

⁴ arbic.rt.com/news all news

وفي عام 2009 تم توقيع اتفاقية المشاورات السياسية، وفي تشرين الثاني من ذات العام تم إنشاء مشروع التعاون الإعلامي الفلسطيني الروسي، وتخصيص مئات المنح الدراسية للطلبة الفلسطينيين في روسيا، وفي كانون الثاني من العام 2011 وقع الجانبان الفلسطيني والروسي عدداً من الاتفاقيات في مجالات متنوعة.

إن مساعدة الفلسطينيين لبناء مؤسساتهم يمكن أن يندرج في إطار الأهداف الروسية للظهور على الساحة الدولية. حيث إن الفلسطينيين بحاجة ماسة للمساندة والدعم من أي جهة لبناء مؤسساتهم، وروسيا في إطار إستراتيجيتها ورغم علاقاتها المتينة بإسرائيل لم تتوقف عن تقديم العم للفلسطينيين الذين رحبوا بأية مساعدات ودعم روسي لاقتصادهم لحاجتهم لهذا الدعم من جهة، ولتعميق العلاقة مع روسيا خارج إطار التدخل السياسي من جهة أخرى، وقد سعى الفلسطينيون دائماً لاستقطاب روسيا ليكون لها حضور في الأراضي الفلسطينية، من خلال التعاون والدعم الاقتصادي المُقدم للسلطة الوطنية الفلسطينية، علماً بأن الأداء الاقتصادي والتجاري الفلسطيني ارتبط بشكل قوي بالتطورات السياسية. وقد شهد هذا الأداء تحسناً ملحوظاً عام 1994، وعاد ليتراجع عام 2006 نتيجة المواجهات التي وقعت بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

ثانياً: المساعدات المالية الروسية للسلطة الوطنية الفلسطينية

كانت بواكير التعاون والدعم الروسي للسلطة الوطنية الفلسطينية في عهد الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، ففي سياق زيارات العمل التي قام بها الرئيس عرفات

لموسكو عامي 1994 و1998، أبرمت اتفاقية التعاون التجاري الاقتصادي بين السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا،¹ وفي آذار من العام 1998 تم توقيع اتفاقية تعاون بين كل من الغرفتين التجاريتين الصناعيتين الفلسطينية والروسية. وبعد رحيل الرئيس عرفات لم يتوقف الدعم الروسي للسلطة الفلسطينية، فقد واصلت روسيا دعم الاقتصاد الفلسطيني بما يعكس مستوى علاقات الصداقة التاريخية بين الجانبين، من خلال تقديم الدعم السياسي المتواصل لمشروع التحرر من الاحتلال الإسرائيلي والدعم الاقتصادي والمالي.

ففي العام 2006 قدمت روسيا 10 ملايين دولار كمساعدة رمزية لدعم لموازنة السلطة الوطنية الفلسطينية،² إضافة إلى تقديم مساعدات طبية شملت أربع طائرات من المساعدات مع فريق طبي،³ وفي آب عام 2008 قدمت أيضاً 10 ملايين دولار للسلطة الوطنية الفلسطينية، بموجب اتفاقية وقعها وزير خارجيتها سيرجي لافروف مع وزير المالية الفلسطيني د. سلام فياض،⁴ وأشار لافروف إلى أن هذه المنحة تعتبر بمثابة مساعدة من روسيا للسلطة الفلسطينية، كدعم لها في المجالات الإنسانية خاصة التعليم والصحة، وأن هدف هذه المساعدات هو تحسين الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

وفي هذا الإطار وفي مناسبات عديدة لم تتوقف الإشارات الفلسطينية بالمساعدات الروسية، وكذلك التأكيدات الروسية على ضرورة دعم الاقتصاد الفلسطيني، فخلال لقاء الرئيس عباس مع يفغيني بريماكوف رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسية بموسكو في 27 كانون أول عام 2009، أشار الرئيس الفلسطيني إلى دور الاتحاد الروسي ورجال الأعمال

¹ أبو عبا، العلاقات الفلسطينية الروسية.

² محمود أبو الرب، التقرير ربع السنوي الثالث 2009 - المنحة الروسية 20 مليون دولار، ديوان الرقابة المالية والإدارية الفلسطيني (رام الله: 2009)، 2.

³ صالح، القضية الفلسطينية، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009، 254.

⁴ مقابلة الباحثة مع أحد مسؤولي دائرة المشاريع الممولة من المانحين، في الإدارة العامة للعلاقات الدولية، في وزارة المالية الفلسطينية، (رام الله: 3-11-2010).

الروس البناء لاهتمامهم بفلسطين خاصة في مجال الاقتصاد، ودعم السلطة الفلسطينية في إقامة المشاريع التطويرية، وتدعيم العلاقات الثنائية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.¹ فيما أشار الجانب الروسي إلى الإجراءات التي تم اتخاذها لتوريد المنتجات الزراعية الفلسطينية إلى روسيا. ودراسة إقامة عدد من المشاريع الاستثمارية الروسية في الأراضي الفلسطينية.

وفي نفس الفترة من العام 2009 عُقد اجتماع في مدينة رام الله بين مسؤولين فلسطينيين وروس لمناقشة ملف العلاقات الاقتصادية الفلسطينية – الروسية بموجب الاتفاقية المشتركة المبرمة بين الجانبين في العام 1998، وتمت الإشارة إلى الدعم الاقتصادي والمالي الذي تقدمه روسيا للسلطة الوطنية الفلسطينية، وضرورة تفعيل مجلس الأعمال الفلسطيني الروسي المشترك الذي تشكل عام 2008 وإقامة المعارض المشتركة.²

وفي العام 2009 أيضاً تم كذلك بحث العلاقات الاقتصادية الفلسطينية – الروسية مع سيرغي كوزلوف ممثل روسيا لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، من أجل تطوير وتعزيز أواصر الشراكة بين الجانبين الفلسطيني والروسي، واستعراض ومراجعة اتفاقيات التعاون المشترك، والعمل على تحديثها لكي تستجيب مع متطلبات المرحلة الحالية، ومراجعة تنظيم معرض المنتجات الفلسطينية في موسكو، بحيث يلبي احتياجات مصالح القطاع الخاص الفلسطيني. وفي ذات العام تم توقيع مذكرة تفاهم حول أسس العلاقة مع مجلس الأعمال الفلسطيني الروسي المشترك، بغية تنشيط العلاقات الاقتصادية بين القطاع

¹ صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية 11-11-2010، 12.

² صحيفة القدس الفلسطينية 18-11-2009.

الخاص في البلدين، من أجل تمكين وبناء علاقات إستراتيجية اقتصادية في مجالات الطاقة والبنية التحتية والمنتجات الورقية والخشبية والمواد الخام،¹ وكذلك المنتجات الزراعية التي تنتجها فلسطين وتكون معدومة خلال الشتاء في روسيا،² وفي كانون الثاني من ذات العام قدمت حكومة روسيا مساعدات عينية إنسانية لسكان قطاع غزة الذين تضرروا نتيجة الحرب التي شنتها إسرائيل عليهم عام في كانون الأول عام 2008.³

وخلال الزيارة التي قام بها السفير الروسي ألكساندر روداكوف في تشرين الثاني من العام 2010 إلى مدينة الخليل، أكد على تقديم بلاده الدعم المادي للسلطة الفلسطينية، لاستكمال المشاريع التي تقوم بها الحكومة الروسية في بيت لحم وامتداد هذه المشاريع إلى الخليل،⁴ وفي الرابع من تشرين الثاني للعام 2010 قرر رئيس الوزراء الروسي فلاديمير بوتين تقديم مساعدة إنسانية للفلسطينيين من خلال السلطة الفلسطينية بقيمة 10 ملايين دولار.⁵

كما احتضنت موسكو المعرض التجاري العربي الروسي الأول، تم خلاله عقد عدة لقاءات بين رجال أعمال واقتصاد فلسطينيين ونظرائهم الروس. وشاركت في المعرض عدة شركات فلسطينية، وتم تعيين ممثلين لها في الأسواق الروسية للعمل على ترويج المنتجات والبضائع الفلسطينية بشكل متواصل، وتنظيم العلاقة المشتركة مع الشركات الروسية.⁶

¹ صحيفة القدس الفلسطينية 2009.

² صحيفة الأيام الفلسطينية 4-11-2010، 8.

³ أبو الرب، التقرير ربع السنوي الثالث 2009، 7.

⁴ صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية 11-11-2010، 12.

⁵ صحيفة القدس الفلسطينية 5-11-2010، 9.

⁶ روسيا اليوم، arabic.rt.com/news_all_news/news_all...

ثالثاً: التعاون الفلسطيني – الروسي في مجال صرف المساعدات

وفي إطار التعاون الفلسطيني الروسي وقع ديوان الرقابة المالية والإدارية للسلطة الوطنية الفلسطينية وهيئة المحاسبة لروسيا الاتحادية اتفاقية تعاون مشترك في 16 كانون الأول عام 2008، وبموجب هذه الاتفاقية تم التوقيع على التقرير النهائي للتدقيق المشترك على المساعدات الروسية المقدمة للجانب الفلسطيني. وقال رئيس هيئة المحاسبة الروسية سيرجي ستيباشين "إن اهتمام السلطة الوطنية الفلسطينية بعملية التدقيق المشترك، وتوفير الإمكانيات للتأكد من صرف الأموال بعدالة، يؤكد شفافية النظام المالي الفلسطيني ونزاهته، وأنه توصل لقناعة بأن كل الأموال المقدمة للجانب الفلسطيني من الجانب الروسي صرفت بكل شفافية ونزاهة وضمن الأهداف المتفق عليها"، وجاءت عملية التدقيق هذه من أجل تعزيز الشفافية في الاستخدام المالي، وزيادة التعاون الاقتصادي الدولي، وتوسيع العلاقات الإنسانية والتجارية والاقتصادية بين الجانبين الفلسطيني والروسي، واستمراراً للعلاقات الدبلوماسية السياسية بينهما.¹ إلا أن المساعدات الروسية المقدمة للفلسطينيين قد لا ترقى إلى مستوى الدعم الذي تتلقاه السلطة الفلسطينية من دول وجهات أخرى، وتركزت على الدعم في المحاور الثقافية والتعليمية والتدريبية أكثر منها في المحاور الاقتصادية والمادية.² لذا فإن السلطة الفلسطينية تُعول على الدعم الروسي سياسياً أكثر من الدعم الاقتصادي والمادي باعتبارها القوة الظاهرة على الساحة الدولية أمام الغرب وتحديداً أمام الولايات المتحدة الأمريكية.

¹ أبو الرب، التقرير ربع السنوي الثالث 2009، 7.

² القومى، لعبة الكبار.

المبحث الثالث: العلاقات الثقافية الفلسطينية الروسية

العلاقات الفلسطينية – الروسية في الجانب الثقافي

تميزت العلاقة الثقافية الفلسطينية الروسية منذ بدئها، بالحرص على مواصلتها وتطويرها بما يخدم مصالح الطرفين الفلسطيني والروسي، مع إدراك الفلسطينيين لأهمية الدعم الروسي الثقافي، وفي هذا المجال عقدت حكومتا السلطة الوطنية الفلسطينية وروسيا الاتحادية اتفاقية حول التعاون في مجال التعليم عام 1988، وأخرى تتعلق بالتعاون الثقافي والعلمي عام 1994.¹ وحرصت روسيا منذ عام 1996 على تقديم المنح للطلبة الفلسطينيين للدراسة في المعاهد الروسية، على حساب الميزانية الفيدرالية للإتحاد الروسي، حيث تم تخصيص 80 منحة تعليمية عام 1996 لطلبة فلسطين، وتم زيادتها عام 1998 إلى 100 منحة، وارتفعت عام 2010 إلى 150 منحة، منها 20 منحة خصصت للدراسات العليا وقام بتسليمها للجانب الفلسطيني ممثل روسيا لدى السلطة الوطنية الفلسطينية في ذلك الوقت سيرجي كوزلوف، مؤكداً التزام حكومة بلاده باستمرار الدعم الثقافي العلمي للشعب الفلسطيني ومؤسساته التعليمية، من خلال تقديم المساعدات في مختلف المجالات.

وفي مجال التعاون الثقافي بين الجانبين الفلسطيني والروسي، تم تدريب عدد من موظفي وزارة الثقافة الفلسطينية عام 2005 في الأكاديمية الدبلوماسية الروسية في موسكو،² وفي تشرين الثاني من العام 2010 تم توقيع اتفاقية تعاون (النوايا الحسنة) بين بلديتي مدينتي أريحا الفلسطينية وفلاديمير الروسية، نصت على توفير فرص للتعاون المتبادل في

¹. 2009، arabic.rt.com/news_all_news

². مقابلة الباحثة مع أحد مسؤولي وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 1-12-2010.

المجالات الإجتماعية والعلوم والتعليم والبيئة والصحة والرياضة. كما أعلن سيرغي ستيباشين رئيس ديوان الرقابة المالية الروسية رئيس الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية، عن نية بلاده افتتاح مركز روسي للثقافة والأعمال بمدينة بيت لحم بحلول العام 2012. وخلال احتفال حضره مسؤولون فلسطينيون وروس في مدينة أريحا في كانون الثاني عام 2011 افتتح الرئيسان الفلسطيني محمود عباس والروسي ديمتري ميدفيديف المتحف الروسي الذي اعتبره ميدفيديف رمزاً للوجود الروسي في الأراضي المقدسة وللعلاقات الطيبة بين البلدين والشعبين الفلسطيني والروسي،¹ ومعلماً ثقافياً بارزاً يهدف إلى تعزيز تلك العلاقات، فيما قال ستباشين "إن المتحف يعد مركزاً ثقافياً روسياً وأكثر من متحف، وسوف يحتوي على قطع أثرية فلسطينية وروسية تتعلق بالأرض المقدسة."² وأن متحف الأرميتاج الروسي³ سوف يتبرع بعدد من القطع الأثرية الروسية الهامة لوضعها في ذلك المتحف.

وفي إطار العلاقات الثقافية المتبادلة بين البلدين دعمت وزارة الخارجية الروسية برنامج نجمة بيت لحم للتبادل الثقافي الذي تديره الجمعية الأرثوذكسية الإمبراطورية الفلسطينية، الذي يقدم للطلاب الفلسطينيين والروس برامج للزيارات المتبادلة للمدارس والجامعات في كلا البلدين، وبدأت المرحلة الأولى من البرنامج في آب عام 2008 عندما قام طلاب فلسطينيون بزيارات لعدد من الجامعات في موسكو وعدد من المدن الروسية، فيما زار

¹ صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية 19 - 1 - 2011.

² www.palestine.ru/Arabic/news/175.html

³ الأرميتاج: يقع في مدينة سان بطرسبرج بروسيا ويعد واحداً من أكبر المتاحف في العالم، ويضم ثلاثة ملايين تحفة فنية ويعتبر واحداً من أقدم المتاحف والمعارض الفنية والبشرية والتاريخية والثقافية في العالم. وله فروع تقع في عدد من الدول. وتم إدراجه في سجل غينيس على أنه يضم أكبر مجموعة من اللوحات الفنية في العالم.

وفد طلابي روسي فلسطين في تموز عام 2009،¹ إضافة إلى قيام وفد روسي مكون من عضو الهيئة الإدارية في الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية المستشار السياسي أوليغ فومان، والممثل عن الجمعية في مدينة فلاديمير فاليري كوليكوف بزيارة مدينة بيت لحم، وتم خلال الزيارة توقيع اتفاقيتي تعاون من أجل إيجاد ظروف مواتية لتطوير الشراكات والتعاون المتبادل في كافة المجالات بين الجانبين الفلسطيني والروسي، والعمل على إيجاد سبل جديدة تتعلق بالجانب الثقافي،² وعقد دورات لتعليم اللغة الروسية والموسيقى وغيرها من الفنون الروسية للراغبين من الفلسطينيين.³

من جانبها حرصت السلطة الوطنية الفلسطينية على إظهار متانة العلاقة الفلسطينية الروسية، وحث روسيا الاتحادية على مزيد من التعاون في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، وهو ما أشار إليه رئيس الحكومة الفلسطينية د.سلام فياض خلال وضع حجر الأساس للمتحف الروسي بمدينة أريحا "تسعى لتعزيز علاقات التعاون البناء والمثمر مع روسيا الاتحادية في عدة مجالات، ومنها القطاع السياحي حيث كان للسياحة الروسية دور في النهضة السياحية الفلسطينية".⁴

وفي هذا الإطار وتحت شعار (فلسطين مهد الديانات والحضارات) شاركت وزارة السياحة والآثار الفلسطينية في شباط 2009، في المعرض السياحي الدولي (انتورماركت) الذي أقيم بالعاصمة الروسية موسكو، بهدف ترسيخ أسس التعاون الثقافي والعلمي

¹ eng.diafuture.ru/board International Youth Center

² المرجع السابق،

³ www.palestine.ru/Arabic/news/175.html

⁴ www.palpress.ps/arabic/index.php

والسياحي مع الجانب الروسي. وتميزت هذه المشاركة بجناح فلسطيني خاص عُرضت فيه صور للأماكن الدينية والتاريخية الفلسطينية. ووُزعت فيه أعداد كبيرة من المواد الإعلامية المكتوبة باللغة الروسية على رواد المعرض.¹

كما رحبت السلطة الفلسطينية بقرار روسيا فتح مركز ثقافي روسي في بيت لحم، واعتبرته وسيلة للتقارب بين الشعبين الفلسطيني والروسي. وبدأ التوجه الروسي لدعم السلطة الفلسطينية واضحاً من خلال إعلان الناطق باسم وزارة الخارجية الروسية أندريه نيستيرنيكو "إن العلاقة بين روسيا والسلطة الفلسطينية تتطور وبخط صاعد لحل المسائل التي تواجهها في بناء مؤسساتهم واجتياز مشاكلهم الاقتصادية وسيستمر تحضير الكوادر الفلسطينية في المؤسسات التعليمية الروسية بدون مقابل".²

كما احتفلت السفارة الفلسطينية بموسكو في ذات العام 2009 بإعلان القدس عاصمة الثقافة العربية، الذي تم تنظيمه في القاعة الكبرى لمتحف الحرب الوطنية العظمى في موسكو، وتخلل الحفل معرضاً للصور، وتوزيع مطبوعات متنوعة تتعلق بالقدس، إضافة إلى معرض لمنتجات الحرف التقليدية والأعمال الإبداعية الشعبية الفلسطينية. وحضر الاحتفال سفراء عرب وأجانب وكتاب وأدباء وعلماء، وعدد كبير من المفكرين والعسكريين والمواطنين الروس، وأبناء الجاليات العربية والفلسطينية. وأثناء الحفل أكد كل من الجنرال فلاديمير زاباروفسكي مدير متحف الحرب الوطنية العظمى، ونيقولاوي

ليسافوي ممثل الجمعية الأرثوذكسية الإمبراطورية الفلسطينية الروسية، على مكانة القدس لدى الروس وما تمثله من أهمية مقدسة بالنسبة لبلادهم.¹ وفي تموز عام 2010 وقعت السلطة الوطنية الفلسطينية وحكومة روسيا الاتحادية مذكرة تعاون في مجال الآثار، واعتُبرت الاتفاقية بُنةً مهمةً للتعاون العلمي بين فلسطين والاتحاد الروسي، ونصت على التعاون المشترك في تطوير الأبحاث في مجال الآثار والمعلومات والنشر العلمي وتبادل الخبراء في مجالات البحث، والسعي لتطوير برامج مشتركة للحفاظ على التراث الثقافي، والمشاركة المتبادلة في المؤتمرات العلمية.²

كما استضافت مدينة روستوف الروسية الفعاليات الخاصة بإحياء الذكرى الستين للنكبة الفلسطينية التي نظمها اتحاد الطلبة الفلسطينيين والعرب في روسيا، وحضرها ممثلو الأحزاب العربية والفلسطينية والروسية، وتضمنت الفعاليات معرضاً لصور جسدت أحداث النكبة إضافة إلى معرض للتراث الفلسطيني.³ وفي تشرين أول عام 2010 رعت سفارة فلسطين لدى روسيا في بيت القوميات في العاصمة موسكو، احتفالاً تكريماً للشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش، أقامه المركز الثقافي العربي بالتعاون مع جمعية الصداقة الفلسطينية الروسية، وجمعية التضامن والتعاون مع شعوب آسيا وإفريقيا "الأفروآسيوية". وحضر الحفل عدد من الكتاب والشعراء والأدباء ورجال الثقافة العربية والروسية، وأساتذة من معاهد الإستشراق والعلماء ورجال سياسة فلسطينيون وروس. وخلال حفل التكريم أشار فياتشسلاف ماتوزوف رئيس جمعية الصداقة الفلسطينية الروسية

¹ www.moc.gov.ps
² www.wafa.pna.net
³ www.moc.gov.ps

إلى أهمية التعاون الثقافي الفلسطيني الروسي، معرباً عن رغبة بلاده حكومة وشعباً في تنمية أواصر هذا التعاون وتطويرها لتشمل مجالات أوسع من العلوم واللغات والآداب والفنون، لما يترتب على ذلك من آثار تربط الأراضي الروسية بالأرض المقدسة.¹

وفي ذات العام 2010 بحث أكاديميون فلسطينيون وروس في موسكو مذكرة التعاون المشترك التي وقعها رؤساء كل من معهد سمولني التابع لجامعة سانت بطرسبرغ وجامعة القدس (أبوديس)، وتتعلق بإمكانية تدريس مساق اللغة والعلوم الروسية في جامعة القدس. وتم الاتفاق على توسيع أطر التعاون المشترك لإعداد الكوادر العلمية الفلسطينية في الجامعات الروسية، إضافة إلى طرح قضية نشاط الأطر العاملة الفلسطينية مع المؤسسات الروسية، وتفعيل هذه المؤسسات في الخارج لنشر العلم والثقافة الفلسطينية الروسية ونقل صورة صادقة وحقيقية عن البلدين ومجالات التعاون بينهما.² وفي هذا الإطار تم توقيع اتفاقية تعاون ما بين جامعة القدس ومؤسسة حوار الشباب المستقبلية ومركزها موسكو، وتم الاتفاق على تبادل وفود الشباب والطلبة ورجال الأعمال وطلبة الجامعات والمختصين من كلا الجانبين، بهدف ترسيخ أسس العلاقات وتوسيع دائرة الحوار بين الشعوب.

ويمثل الطلاب الفلسطينيون من خريجي الجامعات الروسية جسراً للتعاون المستمر والمثمر بين المجتمعين الفلسطيني والروسي. وقد أسهموا في إقامة عدد من مؤسسات التفاعل والتعاون المشترك بين الجانبين، وعلى رأسها جمعية الصداقة الفلسطينية

¹ 2010-10-14 www.palestine.ru/Arabic/news/175.html.
² www.sora.co.il/article.php

الروسية. وخلال زيارة الرئيس الروسي ميديفيدف الأخيرة إلى مدينة أريحا. أكد الجانبان الفلسطيني والروسي على أهمية العلاقات المشتركة وضرورة تعزيزها وتطويرها. وناقشا الأنشطة والفعاليات المشتركة التي ستقوم بها الجمعية بالتعاون مع الممثلة الروسية، بما ينعكس إيجاباً على المجتمع الفلسطيني والجالية الروسية في فلسطين. واتفق الجانبان على تفعيل دور الجمعية في موسكو وعقد اجتماعات دورية بين الممثلة وجمعية الصداقة. وأكد ممثل روسيا الاتحادية لدى السلطة الوطنية الفلسطينية بان الممثلة حريصة على العلاقة مع جمعية الصداقة الفلسطينية الروسية، مشيراً إلى أن الفلسطينيين الخريجين من الجامعات الروسية هم جسور العلاقات الثنائية بين الجانبين الفلسطيني والروسي.

فالعلاقات الفلسطينية الروسية لم تتوقف يوماً، وإنما ازدادت قوة ومتانة مع مرور الوقت، وحرص الجانبان الفلسطيني والروسي على استمرارها وتمنيتها وتنوعها في المجالات الاقتصادية والثقافية. ويمكن استقراء طبيعة ومستقبل التعاون الفلسطيني الروسي والمستوى الذي وصلت إليه العلاقات بين الجانبين، من خلال نتائج الزيارة التي قام بها الرئيس الروسي ديمتري ميديفيدف إلى فلسطين في شهر كانون الثاني 2011، حيث افتتح ميديفيدف المتحف الروسي في مدينة أريحا، ووقع الجانبان الفلسطيني والروسي خلال الزيارة ثلاث اتفاقيات، واحدة منها حول التعاون في المجال الزراعي، وأخرى في المجال الإعلامي، والثالثة حول التعاون بين اللجنة الأولمبية الفلسطينية ونظيرتها الروسية.¹

الفصل الثالث

أثر العلاقات الفلسطينية الروسية على العملية السلمية

المبحث الأول: محددات السياسة الروسية تجاه تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

مقدمة

اتسمت السياسة الخارجية الروسية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فيما دأبت روسيا على وصفه بسياسة التوازن. وقد أدركت روسيا أن القضية الفلسطينية تشكل طريقاً لها للحفاظ على تواجدها في منطقة الشرق الأوسط كلاعب في السياسة الدولية. ومما يشير إلى ذلك تصريح للرئيس يلتسين عام 1996 "يجب على روسيا أن تنتهج سياسة خارجية متعددة المحاور، وأن تُحقق لنفسها ذلك الوضع الذي تكون فيه كلمتها مسموعة وحاسمة في الشؤون والقضايا الدولية، ولا يُتخذ قرار خطير على صعيد السياسة الدولية بدون روسيا" وفي تصريح آخر لبريماكوف وزير الخارجية الروسي الأسبق "إن استعادة روسيا لدورها كدولة عظمى، لها وزنها في العالم، هي الرغبة الطبيعية في عالم متعدد الأقطاب"،¹ وهذا يشير إلى سياسة خارجية ومساعد روسية للحصول على دور أكبر ومكانة دولية أعلى في الساحة العالمية.

وهذا ما أرادت الحكومة الروسية إثباته وتأكيدَه في قضايا الشرق الأوسط، ومن تلك القضايا القضية الفلسطينية. إلا أن هناك عدداً من المُحددات التي كان لها تأثير على علاقة ودور روسيا بالقضية الفلسطينية بعضها داخلية وأخرى خارجية ويمكن إجمالها فيما يلي:

¹ كيسيليف، العلاقات الدولية في الشرقين الأدنى والأوسط وسياسة روسيا على عتبة القرن الحادي والعشرين (دمشق: دار المساعدة السورية، 2002)، 56.

أولاً: المحددات الداخلية

تأثرت السياسة الروسية بالوضع الاقتصادي المنهار الذي ورثته روسيا عن الاتحاد السوفيتي السابق إلا أنه وبعد استقرار الوضع السياسي في روسيا بدأ الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، فكثرت الاستثمارات المباشرة في الاقتصاد الروسي، ونما الإنتاج الصناعي إلى حدٍّ أن أصبح لدى روسيا فائض في الميزانية، فيما لوحظ تقلص في مستوى البطالة.

أما المتغير الداخلي الآخر فكان العسكري، حيث كان الاتحاد السوفيتي السابق يمتلك من القوة العسكرية النووية والتقليدية ما أهله ليكون إحدى القوتين العظميين في العالم. غير أن هذه القدرات بدأت بالتقلص منذ عام 1985 في عهد الرئيس ميخائيل غورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفيتي، نتيجة اتفاقيات الحد من الأسلحة التي قام بتوقيعها مع دول أخرى، إلا أن روسيا أعادت الإهتمام والتركيز على السلاح النووي الذي تمتلكه حفاظاً على أمنها على خارطة العالم. وأجرت تغييرات في بنيتها العسكرية، رغم تأثير ذلك على اقتصادها. ولدى وصول فلاديمير بوتين عام 1996 إلى الحكم، تحسن وضع القوات الروسية عما كان عليه الحال في أوائل التسعينيات من القرن الفائت، كما أن الرئيس ديمتري ميدفيديف الذي تولى السلطة بعد الرئيس بوتين، أعلن خطأً لبناء نظام ردع نووي فعال بحلول عام 2020 داعياً إلى تنفيذ برنامج غواصات بحرية نووية ونظام للدفاع الفضائي.¹

في ذات الوقت خضع الوضع الروسي الداخلي لمتغير سياسي طال وضع الحكومة والتصورات حول رسم السياسة الروسية. وأكد الرئيس بوتين إتباعه لسياسة تقضي

¹ شيفسوف، روسيا بوتين، 293.

بمضاعفة الناتج القومي خلال عشرة أعوام، ومحاربة الفقر وتطوير القوات المسلحة، مما يعتبر تحدياً للمحاور الأساسية للإستراتيجية الداخلية والخارجية الروسية على جميع نشاطات الدولة ومسارات الحياة السياسية الروسية. وبالتالي يمكن القول إن بوتين تبنى نهجاً اقتصادياً وعسكرياً ملحوظاً، ولم يطمع في تغيير القوانين ليتولى فترة رئاسية ثالثة، فسلم السلطة للرئيس مدفيديف عام 2008 الذي واصل بدوره تنفيذ برنامج بوتين الذي يهدف إلى زيادة قوة روسيا، وتحسين حياة مواطنيها ومستواهم المعيشي.¹

ثانياً: المحددات الخارجية

تتعدد المحددات الخارجية التي كان لها أثر على السياسة الروسية تجاه عملية السلام الفلسطينية – الإسرائيلية ويمكن إجمالها على النحو التالي:

1. التأثير الأمريكي على السياسة الروسية

إضافة إلى المتغيرات الروسية الداخلية كان هناك عدة متغيرات خارجية أثرت على الوضع الداخلي الروسي والسياسة الروسية الخارجية. فانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه أدى بروسيا إلى إتباع سياسة جديدة، تمثلت في الإبتعاد عن النهج الأيديولوجي الذي كان يتبعه الاتحاد السوفيتي سابقاً، والانفتاح والتوجه لإقامة علاقات قوية مع الغرب وتعاون وثيق مع الولايات المتحدة، حيث اتفقت الدولتان على مكافحة الإرهاب بكافة أشكاله، وضرورة تبادل بيانات ومعلومات عسكرية بهذا الشأن.

¹. خالد ممدوح العزي، "سياسة روسيا الانفتاحية على العالمين الإسلامي والعربي"، الحوار المتمدن، العدد 3056 (2010)، www.ahewar.org/debat/show.art.asp

وكان لتلك العلاقة تأثيرها على القضية الفلسطينية، فالقرار الروسي لم يتمكن من الاستقلال عن القرار الأمريكي بخصوص صراع الشرق الأوسط، لأن روسيا اعتبرت أن مصالحها مع الغرب أكبر من مصالحها مع العرب والفلسطينيين. ورأت "أن مصالحها مع الولايات المتحدة تتطلب محاباتها للحفاظ على مصالحها خاصة الاقتصادية، وأن هذه المصالح تتحقق في علاقات مع قوى كبرى فاعلة على الصعيد الدولي، وليس مع دول ضعيفة ليس لها دور فاعل على الساحة الدولية".¹

وكان الرئيس بوتين يعي أهمية الغرب بالنسبة لحل مشاكل بلاده الاقتصادية، وأظهر بأن غايته هي الانضمام إلى النادي العالمي، وإقامة علاقات متمدنة مع الغرب،² وبذلك وجدت روسيا نفسها مجبرة على مسايرة السياسة الأمريكية بشأن الصراع في الشرق الأوسط، واتخاذ مواقف حيادية دون أن يمس ذلك مصالحها، فهي إلى جانب الفلسطينيين والعرب ما دام ذلك لا يشكل إزعاجاً للولايات المتحدة وإسرائيل.³ ورغم الحرص الروسي على الانفتاح على الولايات المتحدة إلا أن كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في تصريح لها قالت "لم أكنُ موافقة على سياسة الرئيس الأسبق بيل كلينتون إزاء روسيا، لا سيما تقديم المساعدة الاقتصادية لموسكو، وأتوقع أن تقوم روسيا بالتقرب شيئاً فشيئاً من الدول العربية، وأن يقود هذا التطور في نهاية الأمر إلى رفض المساهمة في بعض الجهود المبذولة من أجل السلام ... أعتقد أن روسيا تشكل تهديداً للغرب عموماً ولحلفائنا

¹ الشويكي، سياسة روسيا الخارجية.

² شيفتسوف، روسيا بوتين، 102.

³ الشويكي سياسة روسيا الخارجية.

الأوروبيين على نحو خاص، وينقصنا الحذر من المخاطر التي تمثلها الترسانة النووية والإمكانات الباليستية التي يمتلكها (الكرملين) الروسي".¹

وأدى التفرد الأمريكي بقضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى إضعاف دور روسيا فيها. وبرزت تساؤلات حول حدود الدور الروسي والسياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة، ورأى البعض بأن حقبة جديدة قد بدأت في السياسة الخارجية الروسية بخصوص الصراع العربي الإسرائيلي، وأن روسيا ستعتمد للعب دور مناوئ أو على الأقل مواز للدور الأمريكي بخصوص القضية الفلسطينية. ولعل التحليلات العربية في هذا الخصوص يمكن تفسيرها بالرغبة في بروز قوة كبرى تعيد التوازن والإنصاف للعلاقات الدولية وتضع حداً للتفرد الأمريكي بشؤون المنطقة.²

إن انقياد موسكو للسياسة والرؤية الأمريكية بشأن تعاملها مع القضية الفلسطينية تمشياً مع سياسة المصالح، التي تُغلب مصلحة على أخرى بما يخدم الأهداف والمقاصد، أدى إلى فشل موسكو في تمرير قرارات دولية واقتراحات تخدم عملية السلام، نظراً لوقوف الولايات المتحدة في وجهها، بقصد أن لا تشاركها أي دولة في تنفيذ سياستها في الشرق الأوسط، فأحبطت الاقتراح الروسي بعقد مؤتمر دولي للسلام في موسكو، ومنعت مساعدة روسيا للسلطة الوطنية الفلسطينية بتزويدها بأنواع من الأسلحة، رغم تبرير موسكو أن المساعدة العسكرية المقترحة تأتي كمساندة للسلطة في حربها على الإرهاب،³ وحاولت الولايات المتحدة الظهور شكلياً في بعض الأحيان بعدم أخذ دور المتفرد في

¹ بيير هاسنر وجوستان فاييس، واشنطن والعالم معضلة القوة العظمى، ترجمة د.قاسم مقداد، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2008)، 184-185.

² الشيخ، "السياسة الروسية وحدود الدور في الشرق الأوسط"، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 39، (2007)، 125-126.

³ الشوبكي، سياسة روسيا الخارجية.

قضية الشرق الأوسط بتكليفها روسيا برعاية الرباعية الدولية، إلا أن الحقيقة الدامغة أنها لا روسيا ولا غيرها من الدول تمكنت من الوقوف أمام السياسة الأمريكية التي تحكمت بخيوط اللعبة السياسية في المنطقة. وبذلك ظهر انقسام في الرباعية وأصبحت روسيا والأمم المتحدة في جانب والولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي في جانب آخر.

2. الشراكة الأمريكية – الإسرائيلية

إن المتمعن في حقيقة العلاقة الأمريكية – الإسرائيلية يجد أن هذه العلاقة تعدت مرحلة الشراكة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق الأهداف في بناء الدولة وتقدم المجتمع¹ إلى الاندماج الكلي، بحيث لا يبدو أن هناك شراكة بين الجانبين بقدر ما يوجد اتحاد بين طرفين يبدو كل طرف وكأنه الجزء الثاني المكمل للطرف الآخر. وقد أهل هذا التحالف الاستراتيجي الولايات المتحدة للتفرد في إدارة عملية السلام والهيمنة الكاملة على مجريات سيرها والتحكم فيها، فيما لم يجد الفلسطينيون من باقي دول العالم ومن ضمنها روسيا من يدخل معهم في شراكة حقيقية، للوقوف في مواجهة الشراكة الأمريكية الإسرائيلية الإستراتيجية، حيث أدارت الولايات المتحدة عملية التفاوض حسب مصالح وأهداف الدولتين، تلك الشراكة التي عبر عنها ساندي بيرغر مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في خطاب له في 21 تشرين أول عام 1999 في واشنطن، أوضح فيه إستراتيجية الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط بقوله "الشرق الأوسط هو أيضاً موطن إسرائيل، وهي من أقرب حلفائنا إلينا، ودولة تربطنا فيها علاقة

¹ فوزية، مطر، صحيفة الوطن البحرينية، 15/ 2006/7/13، www.alwatannews.net

خاصة تضرب بجذورها في التاريخ، وتتميز بمصالح مشتركة وتدعمها قيم مشتركة بيننا، وإن أمن إسرائيل هو بمثابة حماية أمننا نحن".¹

وقد انعكست إستراتيجية الشراكة الكاملة بين الولايات المتحدة وإسرائيل على عملية السلام في المنطقة، من خلال إحباط الولايات المتحدة باستخدامها حق النقض (الفيتو) للعديد من القرارات الدولية الصادرة لصالح الفلسطينيين، والتي لم تتفق مع الرغبة الإسرائيلية والأمريكية. وركائز العلاقات بين هاتين الدولتين "تعتمد على المصالح المتبادلة، فالشرق الأوسط يمثل للولايات المتحدة منطقة إستراتيجية مهمة تؤثر على الأمن القومي الأمريكي، وكذلك فإن إسرائيل تعتبر الولايات المتحدة الحليف الإستراتيجي الذي يُعتمد عليه في صراعها مع العرب"،² وقد ساهم هذا التحالف الأمريكي الإسرائيلي في طبيعة الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط عموماً وعملية السلام بين الجانبين الفلسطيني والروسي على وجه الخصوص.

3. العلاقات الروسية – الإسرائيلية ودور اللوبي اليهودي

تأثرت المواقف الروسية تجاه القضية الفلسطينية بطبيعة العلاقة الروسية الإسرائيلية التي تم رسمها بناء على عدة اعتبارات من الصعب تجاهلها، ومن أبرزها النفوذ اليهودي في روسيا، حيث يسيطر اليهود على أهم المرافق الاقتصادية الروسية، كما يسيطر اللوبي اليهودي على ما نسبته 90% من وسائل الإعلام الروسية،³ التي عملت بشكل واضح ضد

¹ خلف محمد الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية- التقنية للصراع العربي الصهيوني (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2000)، 39.

² مؤمن بسيسو، مستقبل المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية في ظل الاستيطان، التقرير الإستراتيجي رقم 21 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، 11.

³ عرفات حجازي، الاتحاد السوفيتي زمن الإنهيار والتخلي عن العرب وقضية فلسطين (عمان: دار الصباح للصحافة والنشر، 1991)، 53.

العرب والقضية الفلسطينية. واعتُبر ذلك الإعلام والدعاية الصهيونية أداة ضغط لصالح إسرائيل، فتلك الوسائل تقوم بنشر صورة ذهنية سلبية عن العرب مُحاولَةً إجهاض أي تعاون روسي عربي. إضافة إلى سيطرة اللوبي اليهودي على الاقتصاد والبنوك والبورصات والمال والعديد من المراكز السياسية في روسيا. فقد وصلت نسبة اليهود في الحكومة وديوان الرئيس يلتسين ما بين 40-50%، وفي رئاسة المؤسسات المالية ما بين 80-90%، ويعود السبب في ذلك إلى حاجة يلتسين في بداية حكمه لهذه القوى كسند له في السيطرة على السلطة عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وحاجته لرفع شعبيته التي تدنت في الانتخابات الرئاسية عام 1996 إلى نسبة 2%.

وبلغ تأثير اللوبي اليهودي في روسيا إلى درجة قيام مظاهرات مناهضة لليهود رفعت شعار "روسيا ليست إسرائيل، وموسكو ليست تل أبيب" ولن يعبر المخطط الصهيوني عبر الأراضي الروسية¹ فيما يجب أن لا تُغفل حقيقة وجود آلاف اليهود الروس في إسرائيل، والذي يجب أخذه بعين الاعتبار هو تأثيرهم في تحديد توجهات السياسة الروسية خاصة ما يتعلق بالموقف الروسي من الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. هذا الأمر اتضح في تعليق للرئيس بوتين في فترة من الفترات على ما يجري في الأراضي الفلسطينية من أحداث عنف، عندما أشار إلى أن بلاده تنتظر باهتمام لأكثر من مليون ناطق بالروسية في إسرائيل قائلاً "إن إسرائيل إحدى الدول الناطقة بالروسية وتستحق الإعتناء الحضاري"²

1. منى الخميسي، "في روسيا موقفان من قضيتنا الفلسطينية أم ثلاثة"، مجلة السياسات الدولية، عدد 119 (2001)، 64-65.
2. الأمانة، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2005)، 104.

من هذا المنطلق فإن هناك حاجة إلى إدراك التحولات الروسية التي قد تجعل من إسرائيل حليفاً استراتيجياً لروسيا وأكثر أهمية من العرب.¹

4. العلاقات الاقتصادية الروسية – الإسرائيلية

أدركت إسرائيل أن العامل الاقتصادي هو العنصر الأهم في تشكيل ورسم شكل العلاقة مع الاتحاد الروسي، فسعت إلى تنشيط علاقاتها الاقتصادية مع روسيا بمساعدة اليهود الروس في إسرائيل مما جعل روسيا تتبع سياسة حذرة في تعاملها مع الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، وكان من الصعب عليها التضحية بمصالحها الاقتصادية مع إسرائيل والغرب. وتربط روسيا مع إسرائيل في المجال التجاري والاقتصادي اتفاقية تم توقيعها في 27 نيسان عام 1994، تقضي بمنح كل من الجانبين الروسي والإسرائيلي نظام الأفضلية القصوى في التجارة، وتشكيل لجنة مشتركة خاصة بمواصلة بحث آفاق التعاون التجاري والاقتصادي وتفعيله، وتفرّع عن هذه الاتفاقية عدة اتفاقيات حول التعاون العلمي والتقني في مجالات الزراعة، والطب، والنقل البحري وإلغاء الضرائب على الصادرات والواردات التجارية بين البلدين، "وبلغ حجم التبادل التجاري بينهما عام 1991 (12) مليون دولار فيما بلغ عام 2006 (1,9) مليار دولار"،² وشمل هذا التبادل مجالات الأبحاث الفضائية، والمواصلات، وتكنولوجيا المعلومات، والتكنولوجيا الزراعية

¹. حميدة سميسم، "الدعاية الصهيونية في جمهورية روسيا الاتحادية"، مجلة المستقبل العربي، عدد 723 (2006)، 110.
². نبذة عن العلاقات الروسية الإسرائيلية، 1-6-2009، Arabic.rt.com/news

والصناعية وقطاع الأعمال الخاص بتجارة الماس والنفط، حيث تصدر روسيا لإسرائيل ما نسبته 45-55% من مجموع صادراتها من النفط الخام.¹

5. التعاون العسكري – الأمني – الروسي الإسرائيلي

تطور التعاون بين إسرائيل وروسيا في المجال الفضائي والعسكري، ففي عام 1988 أطلق صاروخ روسي قمراً صناعياً إسرائيلياً. وما بين عامي 2003-2006 أطلقت روسيا لإسرائيل قمرين صناعيين آخرين. وفي أيلول عام 2010 وصل التعاون الروسي الإسرائيلي في المجال العسكري أوجّه بتوقيع اتفاقية عسكرية أمنية بين الطرفين² تزود بموجبها إسرائيل روسيا ب(12) طائرة عسكرية دون طيار، كما نصت على التعاون في مجال إعداد الكوادر الحربية والفنية والشراكة بالتصنيع الحربي، والتعاون في مجال تبادل المعلومات حول الإرهاب والجريمة المنظمة، وعلى بيع روسيا لإسرائيل صورايخ إس 300،³ هذه الاتفاقية امتدحها وزير الجيش الإسرائيلي آنذاك إيهود باراك الذي شهد على توقيعها في موسكو بالقول "قبل عشرين عاماً ما كان أحد يعتقد أن موسكو وتل أبيب ستوقعان معاهدة تعاون عسكري تقني"⁴، فموسكو التي تربطها بتل أبيب مثل هذه العلاقات، لن تضحي بها بالوقوف أمام إسرائيل فيما تقرره بشأن العملية السلمية وحل

¹ نبذة عن العلاقات الروسية الإسرائيلية، 1-6-2009، Arabic.rt.com/news
² خالد ممدوح العزي، "العلاقة الروسية الإسرائيلية الجنبية"، الحوار المتمدن، العدد 3126، (2010-9-19)، www.ahewar.org/debat/wr.asp
³ هشام منور، العلاقة الروسية الإسرائيلية - جدل المصالح والمنافع، (2009-12-10)، www.alukah.net/Authors/View/Culture/709
 علماً بأن روسيا وإسرائيل فشلتا في التوصل إلى اتفاق قيمته 400 مليون دولار حول بيع إسرائيل هذه الطائرات لروسيا وأن إسرائيل عزفت عن تزويد موسكو بمثل تلك التكنولوجيا القيمة بسبب معارضة الولايات المتحدة للاتفاق
⁴ محمد أحمد الروسان، 14-9-2010، www.iwffo.org

الصراع في المنطقة مقابل علاقات لم ترقَ إلى هذا المستوى مع الجانب العربي المعني بهذا الصراع، مما أضعف دور روسيا في التدخل بشكل فاعل في عملية السلام. ولدى زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود أولمرت لموسكو في تشرين أول عام 2008 قال إن الرئيس الروسي مدفيدف أبلغه أن السياسة الروسية ستستمر على أساس "عدم إيذاء إسرائيل أمنياً تحت أي ظرف من الظروف"،¹ مشيراً إلى أن سياسة روسيا فيما يتعلق بهذا الموضوع تؤكد على مبدئين، أولهما انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة من جهة، وثانيهما ضمان أمن إسرائيل من جهة أخرى، معتبراً هذين الخيارين أساس تسوية الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.²

كما أن الموقف من الإرهاب كان أحد القضايا التي كان لها تأثيرها في العلاقات الروسية الإسرائيلية، والذي بدوره انعكس على العلاقات الفلسطينية الروسية. ففي أعقاب الحملة الأمريكية لمواجهة الإرهاب بعد أحداث 11 أيلول 2001، إستفادت إسرائيل من ذلك حيث "خلطت بين الإرهاب والنضال ضد المحتل، والتركيز على الإرهاب الفردي دون إرهاب الدولة الأكثر خطورة، وهو ما سمح لها كما للولايات المتحدة باعتبار النضال الفلسطيني إرهاباً وإسرائيل ضحيته"³. ولم تتمكن روسيا من انتقاد العنف الإسرائيلي بحق الفلسطينيين، وقبلت التبريرات الإسرائيلية لهذا العنف نظراً لكونها تعاني من مشكلة مشابهة في الشيشان، وترغب بتأييد الولايات المتحدة وإسرائيل لممارساتها هناك، ومن هنا لم تتمكن من نبذ الممارسات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، بل إن تغطية الإعلام

1. صالح، القضية الفلسطينية، التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008، 214. 2. يفعيني بريماكوف، حقول ألغام السياسة موسكو 2008، ترجمة عبد الله حسن (دمشق: دار الفكر)، 232. 3. لكريني، "القضية الفلسطينية".

الروسي لأي عملية تفجيرية فلسطينية لم يختلف عن تغطية العمليات التي يشنها الشيشان ضد الجنود الروس، "ففي 2002/4/18 تم تغطية خبر عمليتين تفجيريتين الأولى ضد جنود إسرائيليين والثانية ضد جنود روس وفق نفس الرؤية، وهذا ساهم في إيجاد نوع من التفاهم بين روسيا وإسرائيل إلى حد تبادل الخبرات في حربيهما"¹، ولدى زيارة الرئيس بوتين لإسرائيل في 2005/4/28 أبلغ رئيس وزراء إسرائيل السابق أرئيل شارون "أنه بوسعه في كل ما يتعلق بالأمن والإرهاب أن يرى في روسيا حليفاً استراتيجياً"².

ويعتبر البعض أن العلاقة الوثيقة التي تربط روسيا بإسرائيل أحد العوامل التي تعطي بعض القوة للموقف الروسي من قضية الصراع في المنطقة، فتبادل المصالح بين الجانبين يسمح لروسيا بالتحرك في هذا المجال، كما يسمح لإسرائيل بالتنازل عن معارضتها المطلقة للدور الروسي في بعض خطواته. ومن هذا المنطلق فإن الدور الروسي في عملية السلام لا يخرج عن إطار سياسة التوازن التي تقول موسكو إنها تنتهجها بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. تلك السياسة التي لم تحسم أي موقف فاعل في تحريك العملية السلمية. ففي أعقاب لقاء تم في تشرين الثاني من العام 2010 بين مبعوث الرئيس الروسي الخاص إلى الشرق الأوسط نائب وزير الخارجية الروسي ألكساندر سلطانوف والسفير الأمريكي لدى موسكو جون بايرلي "أبدى الطرفان قلقهما من الانقطاع الطويل في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية"³.

1. الشوكي، سياسة روسيا الخارجية.
2. محسن محمد صالح وبشير موسى نافع، محرران، القضية الفلسطينية والوضع الدولي، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، 149.
3. كمال حبيب، تقرير الأهرام الاستراتيجي، acpss.ahram.org.eg

وبالرغم من أن البعد التاريخي لعلاقة الصداقة التقليدية بين روسيا والفلسطينيين دعمت الموقف الروسي في عملية السلام، إلا أنه ومن جهة أخرى لم تفرض هذه الصداقة على روسيا سياسة تؤهلها لمواجهة المواقف الأمريكية والإسرائيلية في مجال الصراع بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، حيث إن روسيا أدركت أين تكمن مصالحها، وإلى أي مدى يمكن لعلاقتها وصداقتها مع الفلسطينيين أن تدعوها للمغامرة بفقدان مصالح أخرى تربطها بالولايات المتحدة وإسرائيل، مما أضعف الدور الروسي في عملية السلام. ففي إطار العلاقات الروسية الإسرائيلية "سمحت روسيا كما ذكر سابقاً وبشكل كبير لآلاف اليهود بالهجرة لإسرائيل، بحيث أصبح ينظر إلى قسم كبير منهم بمثابة الشباب الروسي في إسرائيل وليس الشتات اليهودي العائد إلى إسرائيل"¹ هذه الهجرة كان لها أثر كبير في رسم معالم السياسة الروسية الخارجية فيما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط. "إلا أنه لا يمكن اعتبار اليهود الروس المهاجرين ورقة ضغط يمكن لموسكو استغلالها في مواجهة إسرائيل. حيث لا يكثر هؤلاء كثيراً بمصالح روسيا وتوجهات السياسة الروسية في المنطقة، ولا يمكن التعويل على ولائهم لروسيا باعتباره أمراً مشكوكاً فيه"². وهؤلاء المهاجرون يعانون من مشاكل عديدة في إسرائيل ومنها مشكلة الاندماج الثقافي، فمعظم اليهود الروس لا يعرفون اللغة العبرية، وهو ما يجعل قطاعات كبيرة منهم غير قادرة على الاستمتاع الثقافي بالأدب العبري. ولا مفر من الانغماس في ثقافتهم الروسية وخاصة أن روسيا ذات ثقافة أدبية وفنية عالية لا ينكرها أحد. وقد بلور القادمون الجدد الروس

¹. ماجد الحاج، الشتات الروسي في إسرائيل (رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2008)، 241.
². سفيران ملوكي، كيف ترى قيادات الكرملين علاقات روسيا بالدول العربية، 2008، hawariboumadian1520.maktoobblog.com

ثقافة روسية خاصة بهم تمثلت في إصدار حوالي خمسين صحيفة دورية باللغة الروسية، منعزلين بهذا عن باقي المجتمع الإسرائيلي الناطق بالعبرية، بالإضافة إلى مشكلات الزواج واختلاف طقوسه وتنظيماته في مجتمع الهجرة. وكذلك الشعور بالإهانات التي تلحقها بهم باقي الفئات في المجتمع الإسرائيلي، واتهامهم بجلب المافيا والدعارة وإدمان الكحول إلى إسرائيل. وكذلك إدعاء الفئات الاسرائيلية الأخرى أن غالبية هؤلاء المهاجرين قدموا إلى إسرائيل ليس عن قناعة بالفكر الصهيوني، بل نتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية التي تعاني منها البلدان التي قدموا منها. وأنهم يحاولون تحسين أوضاعهم على حساب إسرائيل وشعبها. كما يعاني المهاجرون الروس من ارتفاع نسبة البطالة بينهم، أو العمل في مجالات لا تتفق مع تخصصاتهم المهنية التي لا يستوعبها المجتمع الإسرائيلي. حيث بلغت نسبة الأكاديميين منهم 82%. ومن الواضح أن الاقتصاد الإسرائيلي ليس بحاجة إلى هذا العدد الهائل من الأطباء والمعلمين والعلماء والمهندسين. ويعبر هؤلاء المهاجرين عن خيبة أملهم من الأحزاب الإسرائيلية الكبيرة في المساعدة على استيعابهم بشكل يرضيهم ويؤمن لهم حياة أفضل، وهذا جعلهم يتكتلون في اتحادات مهنية واجتماعية خاصة بهم "كاتحاد العلماء الروس" و"اتحاد الكتاب الروس الإسرائيليين" و"اتحاد المتقاعدين". كما شكلوا هم أنفسهم أحزاب سياسية خاصة بهم أبرزها حزب "إسرائيل بالهجرة" الذي يقوده "أناتولي شرانسكي" المنشق السوفيتي السابق. حيث يضع الحزب مصالح المهاجرين الروس وتحسين أوضاعهم السياسية في المقام الأول. فاليهود الروس يسعون إلى التكيف مع المجتمع الإسرائيلي وليس الاندماج فيه.¹

¹ .حسن مواسي، اليهود الروس في إسرائيل- نظرة دونية واتهامات بنشر الجريمة، (لندن: 2011-1-6 s2011-1-6/www.elaph.com/Web/new

6. المصالح الروسية في الشرق الأوسط والمنطقة العربية

إن المتغيرات في الإستراتيجية الروسية على المستويين الداخلي والخارجي، كان لها تأثيرها وانعكاساتها على العديد من مناطق ودول العالم من ضمنها المنطقة العربية. فبعد نهاية الحرب الباردة بذلت روسيا جهوداً لبناء علاقات قوية مع العرب، وحاولت استعادة قوتها من خلال دعم القضايا العربية.¹ حيث إن لروسيا مصالح في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام والمنطقة العربية بشكل خاص. ويعود ذلك إلى التقارب الجغرافي للحدود الروسية مع المناطق المجاورة لها على مختلف المستويات، والسعي للاستفادة من القدرات الاقتصادية للمنطقة العربية الغنية بالبترول "والتي تتمتع بفرص اقتصادية كبيرة لا يمكن أن تغيب عنها روسيا"،² ومنع امتداد النزاعات والصراعات الإقليمية من منطقة الشرق الأوسط إلى المناطق الجنوبية من كومنولث الدول المستقلة، الذي أقيم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. إضافة إلى التخوف الروسي من وصول تداعيات الوضع الأمني في منطقة الشرق الأوسط إلى منطقة القوقاز. ورأى القادة الروس أن تحقيق هذه المصالح يتطلب تقديم روسيا نفسها كبديل للغرب في هذه المنطقة.³ فقد تزايدت الزيارات واللقاءات المتبادلة بين زعماء عدد من دول الشرق الأوسط والقادة الروس، مما ساعد على رسم وتحديد طرق تكفل لروسيا توسيع مجالات التعاون بين موسكو وهذه الدول، وتوفير إمكانيات لتسوية النزاعات بالطرق السلمية في المنطقة.⁴ لذا لا يمكن تجاهل حرص

¹ (Naumkin, Russia's Relations with Arab World, The Emirates Center for Strategic and Vitaly, (Abu Dhabi Research,2008) .57

² عويد عيران، السياسة الروسية في الشرق الأوسط نظرات في العمق، صحيفة الأيام، (رام الله:26-10-2010)، 33 .

³ خضر عباس عطوان، "سياسة روسيا العربية والاستقرار في النظام الدولي"، المجلة العربية للعلوم السياسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، عدد

20، 2008)، 47.

⁴ مجموعة باحثين عرب وروس، العلاقات الدولية في الشرقين الأدنى والأوسط وسياسة روسيا على عتبة القرن الحادي والعشرين، ترجمة دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر، 42.

روسيا للحفاظ على الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الأوسط. ومع اقتراب القوات الأمريكية والغربية من الحدود الروسية في أعقاب التطورات الإقليمية التي شهدتها المنطقة العربية، خاصة بعد احتلال العراق فكرت روسيا بتعزيز التحالف مع بعض الدول العربية وعقدت معها صفقات بيع أسلحة، رغم معارضة الولايات المتحدة وإسرائيل وأبرمت معها اتفاقيات تعاون لإقامة مشاريع مشتركة.

كما اتبعت روسيا الاتحادية سياسة سعت بموجبها لإعادة العلاقات مع دول الخليج العربي وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بعد عقود طويلة من توقف العلاقات بينهما. وبالتالي فإن روسيا حاولت أكثر من ذي قبل تجاوز نقاط الضعف من خلال إثبات الوجود المباشر لها في المنطقة العربية. واعتُبر ذلك "نقطة تحول في العلاقات الروسية العربية وإذناً ببدء حقبة جديدة في السياسة الروسية تجاه المنطقة العربية، تستعيد فيها روسيا مكانتها كفاعل أساسي في شؤون المنطقة وقضاياها التي تزداد حدةً وتعقيداً".¹

وخلال تولي بوتين الرئاسة اتسمت العلاقات الروسية العربية بالنشاط. وظهرت بوادر هذا النشاط من خلال استمالة روسيا للبلدان العربية في عدد من القضايا التي تثير الاهتمام المشترك، وعلى رأسها القضية الفلسطينية ومكافحة الإرهاب، وظهور موسكو في عدة ملفات معادية ومعارضة للموقف الغربي، مثل ملف كوسوفو، والبرنامج النووي الإيراني، والعلاقات الروسية السورية، والعلاقات الروسية مع مصر وليبيا ولبنان والإمارات العربية المتحدة والسعودية، إضافة إلى ما أبدته روسيا من استعداد لتزويد الدول العربية بالتقنية النووية السلمية للدول الراغبة في امتلاكها والدعوة إلى "إنشاء منظمة خاصة

¹ الشيخ، "محددات وأفاق العلاقات الروسية العربية في العقد الثاني من القرن العشرين"، مجلة دراسات شرق أوسطية، عمّان: عدد 55، (2010)، 11.

بالدول المصدرة للغاز على غرار أوبك" لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين الطرفين، وتوجت هذه الحقبة بالزيارات المتكررة للرئيس بوتين ومن بعده مديف للمنطقة العربية، حيث حددت روسيا العوامل التي تحكم تطور علاقاتها مع الدول العربية، وهي استعادتها لمكانتها كأحد القوى الكبرى الفاعلة، والدخول في الشراكة الاقتصادية والتقنية مع هذه الدول، وتنمية آفاق التعاون في المجال العسكري، والتقارب الثقافي والحضاري بينها وبين العالم العربي، إضافة إلى الدعم السياسي الروسي للقضايا العربية.¹

وفي مجال تعامل روسيا مع الدول العربية، يُلاحظ أن تلك الدول لم تتمكن من الاشتراك مع روسيا في شبكة من المصالح وأوجه التعاون التي تمكنها من التأثير على توجهات ومسار السياسة الخارجية الروسية، وتفعيل الدور الروسي في المنطقة بما يؤهل هذا الدور ليكون مؤثراً في حل قضايا الشرق الأوسط. ورغم ما أظهرته روسيا من رغبة في إحياء التعاون مع الدول العربية والدفع به إلى الأمام "وما أبدته من استعداد لتزويد الدول العربية بأسلحة متقدمة تكنولوجياً قد لا تُقدم الولايات المتحدة على تزويدها بها لاعتبارات خاصة بالرؤية الأمريكية لتوازنات القوى في المنطقة"² إلا أن الاستثمارات العربية في روسيا قليلة جداً، والتبادل التجاري بينهما ضئيل، كما أن مستوى تصدير الأسلحة الروسية للدول العربية لم يصل إلى المستوى الذي تطمح إليه روسيا. ورغم محاولاتها فتح أسواق جديدة لها في عدد من البلدان العربية إلا أن التعاون في هذا المجال أقل من الإمكانيات والفرص المتاحة. وقد يكون السبب في ذلك الأزمة الاقتصادية العربية المستمرة وتدهور الإنتاج

¹. الأمانة، المتغيرات الداخلية والخارجية، 380.
². الشيخ، محددات وآفاق العلاقات الروسية العربية، 22.

الصناعي في العالم العربي، إضافة إلى تصدي الولايات المتحدة وحلفائها لنفوذ روسيا في المنطقة العربية.¹ واللافت بشأن ضعف الدور الروسي في عملية السلام مواقف بعض السياسيين والإعلاميين والباحثين الروس من صيغة التعامل مع الدول العربية، حيث كان هناك تباين في آرائهم بهذا الخصوص، فجزء منهم يعتبر أن الدول العربية تخلت عن علاقاتها مع روسيا وترفض الدور الروسي في المنطقة مقابل رضا الولايات المتحدة، فيما يوجه آخرون الانتقادات للقيادة الروسية ويصفون سياستها مع الدول العربية بالفاشلة، فيما اعتبر البعض الآخر أن لا بأس من التعاون الروسي مع الدول العربية في إطار سياسات لكل طرف تتناسب مع إمكانياته ومتطلباته الوطنية أو القومية.

وبدا أن روسيا لديها رؤية إيجابية لإمكانية التعاون مع الدول العربية، ورغبة صادقة في تقديم مساعدات حقيقية وفعالة لها في حالة وجود صيغة واقعية تستند على المصالح المشتركة²، حيث يمكن لروسيا أن تلعب دور الشريك الأساسي في تحقيق عدد من أهداف الدول العربية، رغم ما يربط هذه الدول من علاقات متينة مع الولايات المتحدة والغرب. وتذكر روسيا إدراكاً جيداً بأنها بتأييدها للفلسطينيين في إقامة دولتهم واستعادة حقوقهم، سوف تكسب موقفاً لدى الدول العربية الحريصة على حل القضية الفلسطينية وإنهاء الصراع في المنطقة، فكلما رأت هذه الدول من روسيا مواقف مناصرة للفلسطينيين، كلما زادت ثقتها بالسياسة الروسية والتعامل معها، وهذا من شأنه دعم موقف روسيا في مساندتها للفلسطينيين وقضيتهم.

¹. مجموعة باحثين عرب وروس،، العلاقات الدولية في الشرقين الأدنى والأوسط، 31، 45.
². الشيخ، ملف الأهرام الإستراتيجي، eg.acpss.ahram.org

المبحث الثاني: الدور الروسي في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية

مقدمة

أبدت روسيا الاتحادية تعاطفاً مع الفلسطينيين وقضيتهم وأيدت الكثير من المواقف الفلسطينية في مواجهة السياسات الإسرائيلية، في وقت واصل فيه الفلسطينيون مساعيهم لإدخال روسيا في اللعبة السياسية في المنطقة أملاً في الحد من السيطرة الأمريكية عليها. إلا أن الدور الروسي كان محكوماً بعدة اعتبارات تحد من تأثيره في قواعد اللعبة، والضغط على إسرائيل لتغيير أو تليين مواقفها من العملية السلمية، وتكرها للاتفاقيات المعقودة مع الفلسطينيين. هذا الموقف عبّر عنه الباحث الروسي المتخصص في العلاقات الروسية العربية أندريه غيرمانوفيتش حيث قال "إن موسكو لها خصوصيات معينة فيما يتعلق بأطراف العملية السلمية في الشرق الأوسط وعلاقات روسيا مع أطراف الصراع في المنطقة هي علاقات متوازنة، وإن دور روسيا في الشرق الأوسط أقل من دور الولايات المتحدة مثلاً من حيث التأثير في إسرائيل أو في موقف أي دولة أخرى، ولكن في نفس الوقت نعتقد أن روسيا تستطيع أن تساهم ولو بقسط بسيط في تحريك العملية السلمية".¹

وقد اختلفت التحليلات بشأن مستقبل الدور الروسي في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، وفيما إذا كان هذا الدور سيشهد قوة وتفعيلاً أم سيبقى على ذات الشكل الذي ظهر به طيلة فترة المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

¹ www.aljazeera.net، 2008-3-24.

أولاً: الموقف الروسي من القضية الفلسطينية

كان لروسيا من القضية الفلسطينية موقف مغاير عن موقف وسياسة الاتحاد السوفيتي السابق تجاهها. وتتلخص سياستها في هذا المجال في دعم التوجه نحو حل الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي سلمياً، وتشجيع مفاوضات السلام، والدعوة إلى وقف العنف، وعقد مؤتمر دولي للسلام، وضرورة الإلتزام من قبل الفلسطينيين والإسرائيليين بأية قرارات يتم التوصل إليها بشأن التسوية في الشرق الأوسط. وأدق تعبير عن موقف روسيا من قضية الشرق الأوسط هو محاولة إمساك العصا من الوسط. فمن جهة تُظهر قلقها وتعاطفها حيال إسرائيل، ومن جهة أخرى تحثها على وقف ممارساتها القمعية بحق الفلسطينيين خشية زيادة التوتر. وانتقدت روسيا هذه الممارسات ومن بينها ما وصفته بالتكاليف البشرية الكبيرة للغاية التي دفعها الشعب الفلسطيني.¹

ثانياً: السعي الفلسطيني للتعامل مع روسيا الاتحادية

منذ أن بدأت العملية السلمية كانت الولايات المتحدة هي المتفردة بإدارة هذه العملية. إلا أن الفلسطينيين والعرب كانت تحذوهم الرغبة في أن تكون روسيا طرفاً في عالم متعدد الأقطاب كي لا يظلوا تحت رحمة قطب واحد،² وكان الفلسطينيون يهتمون أي فرصة لانضمام أي دولة لها وجود على الساحة الدولية إلى العملية السلمية، من منطلق القناعة بأن الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الاستراتيجي لإسرائيل لن تدعم بأي حال أي موقف فلسطيني على حساب إسرائيل.

¹. الأمانة، المتغيرات الداخلية والخارجية، 367.

². أحمد صدقي الدجاني وآخرون، منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الأوروبي (بيروت: مؤسسة عبد الحميد شومان، 2001)، 31.

وقد ظهرت بعض المؤشرات التي شجعت الفلسطينيين على رسم محددات سياستهم مع روسيا، وتحديداً لدى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000، فقد برزت على ساحة التفاوض خطة خريطة الطريق كمشروع لتحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط، وتم اختيار روسيا للإشراف على تنفيذ الخطة، كما أُدرجت روسيا عضواً في اللجنة الرباعية الدولية للإشراف على تنفيذ الخريطة، ووسيطاً إلى جانب الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي في عملية التسوية السلمية، وبذلك بدأ الفلسطينيون ينظرون بجدية إلى موقع جديد لروسيا على الساحة الدولية. لذا توجهت السلطة الوطنية الفلسطينية إلى روسيا على أمل أن تلعب دوراً فاعلاً في تقريب وجهات النظر بين طرفي الصراع.¹

وبعد وضع المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية الروسية الجديدة قامت الدبلوماسية الروسية بدراسة ما طرأ من تطورات سريعة وأحداث متلاحقة في القضية الفلسطينية. وقد ركزت في هذا الإطار على مبدئين أساسيين الأول دعم المبادرة المصرية الأردنية التي تقدمت بها الدولتان عام 2001 لوقف العنف الدائر في الأراضي الفلسطينية وتقرير لجنة ميتشل الذي نشر في العام ذاته وتضمن عدة بنود لإنهاء الصراع في المنطقة والثاني عدم تخليها عما تم الاتفاق عليه خلال مؤتمر مدريد 1991 وما نص عليهما القراران 242 و338 والالتزام باتفاقية أوسلو وعدم عودة المفاوضات إلى نقطة البداية.² وشهد عام 2005 عدة محطات حددت معالم لبناء إستراتيجية فلسطينية جديدة تجاه روسيا. حين زار

1. عطوان، سياسة روسيا العربية، 58.

2. نبيه الأصفهاني، "دور روسيا الاتحادية في منطقة الشرق الأوسط"، مجلة السياسة الدولية، عدد 145 (2001)، 162.

الرئيس بوتين الأراضي الفلسطينية، ورأى الفلسطينيون أن من مصلحتهم انضمام أطراف يمكن أن تؤثر على سير العملية السلمية، لإيجاد توازن في مواقف طرفي الصراع الذي تتفرد بإدارته الولايات المتحدة الأمريكية، وتم تفسير زيارة بوتين على أنها محاولة للعب دور في العملية السلمية في الشرق الأوسط، وانتقدت إسرائيل تلك الزيارة، وقالت صحيفة معاريف الإسرائيلية "إن الزيارة تمثل العودة الروسية للساحة الدولية عبر أنسب الطرق وهي أزمة الشرق الأوسط".¹

ثالثاً: دعوة بوتين لعقد مؤتمر دولي للسلام في موسكو

لفتت زيارة بوتين لأراضي السلطة الوطنية الفلسطينية عام 2005 أنظار دول العالم خاصة الدول الأوروبية، ورأى الفلسطينيون فيها منعطفًا إيجابيًا في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية. والتقطوا الأمل في التأثير على المواقف الأمريكية والإسرائيلية. ومما دعم الآمال الفلسطينية دعوة الرئيس بوتين عام 2007 لعقد مؤتمر دولي للسلام في موسكو، حيث اعتُبرت هذه الدعوة بمثابة رسالة موجهة للولايات المتحدة وإسرائيل بأن هناك طرفاً يقف إلى جانب الولايات المتحدة، لمحاولة لعب دور فاعل ومؤثر في العملية السلمية، وإن كان لن يقف خصماً لإسرائيل فهو على الأقل لن يكون خصماً للفلسطينيين،² إلا أن واشنطن وتل أبيب رفضتا الدعوة، حيث أدركتا أن مؤتمر سلام كهذا من شأنه أن يُخرج تفاهات ومفاوضات العملية السلمية عن المسار المرسوم أمريكياً وإسرائيلياً، في

1. الشويكي، سياسة روسيا الخارجية.
2. القنومي، لعبة الكبار.

ظل وجود طرف دولي آخر يؤثر في تلك العملية بما لا ترغب فيه كلا الدولتين ويتعارض مع مصالحهما الإستراتيجية.

ونتيجة عدم عقد ذلك المؤتمر تضاءلت الآمال والتوقعات الفلسطينية، خاصة عندما استجابت روسيا للضغوط الأمريكية والإسرائيلية، وتغيرت الدعوة من عقد مؤتمر سلام إلى مؤتمر قمة إلى لقاء خبراء،¹ وبدأ الفهم الفلسطيني لسياسة روسيا يتضح أكثر فموقف روسيا لا يقوم على إستراتيجية ثابتة في المنطقة وأن القضية الفلسطينية ما هي إلا منفذ روسي للحفاظ على تواجدها على الساحة الدولية.

رغم ذلك رحب الفلسطينيون الذين حرصوا على تلقي الدعم من أي طرف دولي ببعض المواقف الروسية والسياسات التي ربما اختلفت عن مواقف العديد من دول العالم. فقد كانت روسيا بين الحين والآخر تُظهر سياسات منحازة للفلسطينيين. رغم أن بعض المحللين فسروها بأنها ما هي إلا صراع مواقف بينها وبين الولايات المتحدة، إنما يمكن للفلسطينيين الاستفادة منها كون روسيا عضواً في مجلس الأمن والرباعية الدولية. حيث أيدت موسكو المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية، وشجعت العملية السلمية، ورفضت الممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة من مصادرة أراض، وإغلاق للمدن، وتهويد القدس وزيادة توسع البناء الاستيطاني، كما واصلت المطالبة بإشراك أطراف دولية وعربية في دعم العملية السلمية.²

¹ الشويكي، سياسة روسيا الخارجية.

² V. Posuvaliuk, peace and Security in the Middle East- a Feasible Goal., Minneapolis-Moscow, 1998p76, <http://dlib.eastview.com/browe/doc/1967265>

رابعاً: التأييد الروسي للموقف الفلسطيني في مواجهة السياسات الإسرائيلية

تشير بعض الدراسات إلى أن العودة الحقيقية لروسيا لممارسة دورها في عملية السلام جاءت عقب مذبحة الخليل عام 1994، عندما أقدم أحد المستوطنين الصهاينة على قتل 25 مصلياً فلسطينياً كانوا داخل الحرم الإبراهيمي. وعقب ذلك دعت روسيا إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط في مدريد. واقترحت إرسال مراقبين دوليين إلى الأراضي الفلسطينية لحماية مواطنيها من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة. تبع ذلك آلية اللجنة الرباعية عام 2001 التي ضمت إلى جانب روسيا الاتحادية الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة.

ففي عام 2001 دعا الرئيس بوتين رئيس حكومة إسرائيل آنذاك أرئيل شارون إلى عدم العودة في المفاوضات إلى نقطة البداية، وضرورة التزام الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بالقرارات الدولية. مبدياً رغبته في الوقوف إلى جانب أي دولة تريد أن تساهم في إحلال السلام العادل في الشرق الأوسط، من منطلق أن اللجوء إلى القوة لن يؤدي إلا إلى مزيد من العنف والتوتر، وأن تأجيل المفاوضات وعرقلة عملية السلام يعود بالضرر على طرفي الصراع، داعياً إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة تعيش بسلام إلى جانب دولة إسرائيل ضمن المصالح المشروعة لكلا الطرفين.¹ في وقت واصلت فيه روسيا التأكيد في سياستها الخارجية مراراً وتكراراً على ضرورة التزام إسرائيل غير المشروط في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية.

¹ عبد الحميد الكيالي، محرر، قراءات إسرائيلية إستراتيجية، التقرير الإستراتيجي الصادر عن معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي 2008، ترجمة عدنان أبو عامر، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، 107.

وأبّدت الدبلوماسية الفلسطينية اهتماماً بالدبلوماسية الروسية كون روسيا تعد إحدى الدول الفاعلة في النظام الدولي الراهن، ولديها قوة عسكرية تقليدية كبيرة في آسيا وأوروبا. ففي العام 1997 زار محمود عباس بصفته أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية موسكو، وطالب القيادة الروسية بلعب دور أكثر فاعلية في عملية السلام، لا سيما بعد تولي نتنياهو رئاسة الوزراء الإسرائيلية، حيث وجد الفلسطينيون في ذلك سبباً في فشل محادثات السلام في المنطقة وتعثر تنفيذ اتفاق أوسلو.¹

وفي العام 2002 عبرت روسيا عن استيائها من ممارسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين. وأيدت قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 144 في تشرين الأول عام 2003 "الذي يدين ممارسات إسرائيل في الأراضي المحتلة وبناءها لجدار الفصل العنصري واعتبرته عملاً غير شرعي"، وساهمت بشكل فعال وناجح في استصدار قرار مجلس الأمن رقم 1515 "الذي يقر خريطة الطريق ويجعل منها قراراً ملزماً بدلاً من كونها مجرد مبادرة من الرباعية" علماً أن خريطة الطريق تنص على إقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما دعت إسرائيل إلى مساندة الرئيس محمود عباس بدلاً من الضغط عليه.² وخلال زيارة بوتين الأولى إلى تل أبيب عام 2005، دعا الحكومة الإسرائيلية إلى تنفيذ كافة الاتفاقيات والقرارات الموقعة خلال وبعد مؤتمر مدريد للسلام، والتي تحثُ على اعتبار قراراتي مجلس الأمن 242 و338 هما الأساس لإحلال السلام. كما رفضت روسيا عودة احتلال إسرائيل عام 2002 للمناطق الفلسطينية التي كانت خاضعة لسيطرة السلطة الوطنية

¹ الشيخ، صناعة القرار، 7-114.
² الشيخ، السياسة الروسية في المنطقة العربية، 89-90.

الفلسطينية، وفي العام 2007 وعقب انتهاء مؤتمر أنابوليس¹ الذي تم عقده في باريس، تعهد وزير الخارجية الروسي بعقد لقاء دولي في موسكو من أجل متابعة نتائج أنابوليس للمانحين، غير أنه ربط تلك المتابعة بضرورة التزام الطرفين بتعهداتهما، فطالب الجانب الإسرائيلي بوقف الإستيطان، وطالب الجانب الفلسطيني بوقف العمليات العسكرية.²

من جانبها رأت السلطة الوطنية الفلسطينية أن الدعم الروسي لها يهدف إلى مساندة جهود المجتمع الدولي التي تهدف إلى تعزيز دور المؤسسات الحكومية الفلسطينية، وبشكل خاص تنفيذ المهام التي اقترحتها اللجنة الرباعية للوسطاء الدوليين بشأن التسوية في الشرق الأوسط، وأن هذه المواقف تمثل دعماً معنوياً دبلوماسياً لها ولرئيسها، ويأتي على المسار الصحيح، كما رأت فيه نصرة للشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، الأمر الذي جعل الفلسطينيين يعولون كثيراً على الموقف الروسي في دعمهم ومساندتهم في نشر قضيتهم في المحافل والمؤسسات والمنظمات الدولية.

خامساً: المواقف الروسية تجاه عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية

يمكن القول إن روسيا سعت لأن تكون شريكاً وراعياً فعلياً وليس شكلياً في عملية التسوية في الشرق الأوسط. ودعت إلى دفع عجلة السلام للأمام، والالتزام بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية. واعتقدت بأن دورها سيكون فعالاً بحكم علاقاتها المتميزة مع دول المنطقة.

¹ مؤتمر أنابوليس: هو مؤتمر السلام في الشرق الأوسط الذي عقد في شهر تشرين الثاني عام 2007 في كلية البحرية في أنابوليس، بولاية ماريلاند، بالولايات المتحدة الأمريكية. وانتهى المؤتمر مع صدور بيان مشترك من جميع الأطراف. نظم المؤتمر من قبل الولايات المتحدة ليوم واحد ودعت الولايات المتحدة كصفتها الدولة المنظمة للمؤتمر أكثر من 40 دولة ومنظمة دولية. ولكن الكثير من هذه الدول لم تكن لها علاقة بالنزاع الإسرائيلي-الفلسطيني أو لها علاقة محدودة. وبعضها ليس لها علاقة دبلوماسية مع إسرائيل، مثل سوريا والسعودية.

² صالح، القضية الفلسطينية، التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007، 257.

ورأت أن العملية السلمية تحتاج إلى جهد وعمل جماعي أوروبي وليس أمريكي فقط، كون الموقف الأمريكي أثبت فشله وجمد تلك العملية، ودعت إلى ضرورة تفعيل دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي. وطالبت الإسرائيليين بالالتزام بقرارات مجلس الأمن، ووقف الاستيطان واستئناف المفاوضات على أساس الانسحاب من كامل الأراضي المحتلة عام 1967، وأن يكون هناك تنفيذ غير مشروط لعملية السلام. وكانت ترفض تحميل الرئيس ياسر عرفات مسؤولية كل ما يحدث من عمليات عسكرية أو مواجهات في المنطقة حسب ما كانت تدعيه إسرائيل دائماً. ورفضت رفضاً قاطعاً الفكرة الإسرائيلية القائلة بأن مسيرة السلام لا تتم إلا باستئصال (الإرهاب) بالكامل. ووصفت هذه الفكرة "بالعقيمة"، مشددة على ضرورة التدخل الخارجي وتحديداً الأوروبي، ومشاركة بعض الأطراف العربية كمصر والأردن والمغرب في دعم عملية السلام. كان ذلك في وقت حذر فيه وزير خارجية روسيا يفغيني بريماكوف¹ "من انحدار عملية السلام إلى الصفر".²

سادساً: عضوية روسيا الاتحادية في الرباعية الدولية

من أبرز العوامل التي دعمت الموقف الروسي في القضية الفلسطينية والسعي إلى حل الصراع العربي الإسرائيلي، عضوية روسيا في الرباعية الدولية، التي بذلت جهوداً مهمة لإحياء العملية السلمية، وإعادة طرفي الصراع إلى طاولة المفاوضات، وإنهاء ذلك الصراع بطريقة سلمية حسب ما ورد في خريطة الطريق، التي تمثل المرجعية الأساسية التي أخذت على عاتقها العمل لإيجاد حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية. كما تكمن

¹ كان وزير خارجية روسيا ما بين عامي 1996 و 1998.

² الشيخ، صناعة القرار، 114-115.

أهمية المبادرات المطروحة من قبل أطراف الرباعية في الوزن الذي تتمتع به هذه الدول على الساحة الدولية، مما يمكن أن يؤهلها للتأثير على طرفي النزاع ويجعل مبادراتها أكثر قبولاً من تلك التي يمكن أن تُقدم من قبل دول لا تمتاز بنفس الثقل على الساحة الدولية. ومنحت الرباعية روسيا زخماً للتدخل في عملية السلام في الشرق الأوسط والسعي لحل القضية الفلسطينية، "وضع العملية السلمية في مسارها الصحيح بعدما نسفت إسرائيل كافة الإتفاقيات الموقعة مع الجانب الفلسطيني".¹

ونظر الفلسطينيون لعضوية روسيا في الرباعية الدولية والإشراف عليها لتنفيذ خريطة الطريق بما يؤدي لقيام دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل نظرة تفاؤل. وتوقعوا أن تفرض روسيا من خلالها قرارات من شأنها المساعدة في حل الصراع بالمنطقة بما يرضي طرفي هذا الصراع، ويحقق السلام للشرق الأوسط. ورأوا أنه من المفيد لهم السعي للاستفادة من الدور الروسي الذي يأتي انطلاقاً من الرغبة الروسية "في لعب دور فعال في إيجاد تسوية لمشكلة الشرق الأوسط من جهة، وكسر هيمنة الولايات المتحدة واحتكارها للدور الذي تلعبه في المنطقة من جهة أخرى".²

وحاولت روسيا انتهاج سياسة مخالفة للرغبة الأمريكية، وظهر ذلك من خلال تأييدها لضرورة التعامل الدولي مع حركة حماس فقد وجدت موسكو في فوز الحركة في

¹. فارس ظاهر، موقف الرباعية الدولية من القضية الفلسطينية، 2009، 6.
². المرجع السابق، 149.

الانتخابات الفلسطينية الثانية عام 2006 فرصة يجب استغلالها كورقة لعب جديدة على الساحة الدولية من خلال مخالفتها للإدارة الأمريكية والغرب بشأن التعامل مع الحركة فانتهجت معها نهجاً أكثر اعتدالاً من باقي أطراف الرباعية. إلا أن إمساك روسيا بورقة حماس لم يُفسر على أنه جفاء روسي للسلطة الوطنية الفلسطينية، حيث واصلت موسكو دعم السلطة وإمدادها بالمساعدات على أكثر من صعيد.

سابعاً: محدودية الدور الروسي في الرباعية الدولية

رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها موسكو من خلال الرباعية، إلا أن التأثير الروسي على قراراتها اعتبر محدوداً، واصطدم بالمواقف الأمريكية المؤيدة لإسرائيل، التي رفضت كافة جهود الرباعية ومبادراتها من أجل إيجاد تسوية سلمية للصراع في المنطقة. "وبدأت إسرائيل باتخاذ خطوات وإيجاد وقائع جديدة على الأرض، من شأنها إبطال مبادرة خريطة الطريق وبمباركة أمريكية، مثل بناء الجدار الفاصل، والتوسع في الاستيطان في الأراضي الفلسطينية"¹، وبالتالي وجدت روسيا نفسها من خلال الرباعية غير قادرة على تمرير أي مبادرة أو قرار من شأنه إعادة طرفي الصراع إلى طاولة المفاوضات. مما أضعف بل وعطلّ الدور الروسي في الرباعية ومن ثم في جهود إحلال السلام في المنطقة، فقد كان لكل دولة أوروبية خاصة الدول الكبرى والتي لها ثقلها الدولي، مصالح خاصة تربطها بإسرائيل والولايات المتحدة، "وانطلاقاً من ذلك فإن الطابع الغالب على السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي تجاه المنطقة العربية محكوم بأن يأخذ في عين الاعتبار العلاقة مع

1. دحلبي عبد الحكيم، 2006-8-20، www.alwatanvoice.com

إسرائيل، ولذلك مارست الدول الأوروبية سياسة إرضاء بين طرفي النزاع، معتمدة على فنون أدوات العلاقات العامة¹، وهو ما ألقى بظلال كثيفة على موقف الرباعية من خريطة الطريق التي كان من المؤمل أن تنهي الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ثامناً: تجنب روسيا الاتحادية المواجهة مع الولايات المتحدة في الملف الفلسطيني

اعتقد المحللون والسياسيون أن ممارسة روسيا لدورها من خلال الرباعية يشير إلى أن حقبة جديدة من السياسة الخارجية الروسية قد بدأت على الصعيدين الدولي والإقليمي، وأن روسيا بدأت بلعب دور مناوئ للدور الأمريكي، إلا أن الحقائق تشير إلى عدم نية روسيا مواجهة الولايات المتحدة فيما يتعلق بملف القضية الفلسطينية،² وما أن بدأت روسيا تستعيد عافيتها حتى بدأت في بلورة التوجهات العامة لسياستها الخارجية تجاه منطقة الشرق الأوسط، إنما ليس من أولوياتها مواجهة الولايات المتحدة³،² حيث أشار يفغيني بريماكوف عندما عين وزيراً للخارجية الروسية إلى "أن روسيا تبذل كل جهودها لتفادي تصعيد أي توتر..إننا ندرك مكانة الولايات المتحدة في العالم وهذا لا يعني إطلاقاً أن على روسيا تنفيذ دور التابع لها"³ مع ذلك "لا يمكن تجاهل محاولات روسيا المستمرة والمتكررة للعب دور الوسيط في حل هذه القضايا رغم تغييب الشرعية الدولية التي تريدها موسكو أن تكون مرجعية أساسية في حل النزاعات مما حدّ من تأثير الدور الروسي في الرباعية"⁴.

¹ عبد الحكيم، الدور الأوروبي في عملية التسوية 2010-11-11، www.oppc.pna.net/mag/mag22/new_page_2.htm
² النسيخ، نور هان، السياسة الروسية وحدود الدور في الشرق الأوسط، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 39، 2007، ص18
³ الأمازة، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة، 23.
⁴ forum.rtarabic.com/entry.php

المبحث الثالث: مستقبل العلاقات الفلسطينية الروسية والدور الروسي في عملية السلام

مقدمة

لم تسمح الولايات المتحدة وإسرائيل لروسيا بلعب دور فاعل في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، للتوصل إلى حل للصراع بين الجانبين، في الوقت الذي لم تقدّم فيه الولايات المتحدة سوى القليل إزاء إنهاء هذا الصراع، بحكم موقعها الذي تفرّدت من خلاله بالسيطرة على إدارة النزاع، ومرد ذلك إلى اتباعها سياسة الكيل بمكيالين في تعاملها مع الفلسطينيين والإسرائيليين. رغم ذلك فإن الفلسطينيين ومعظم دول الشرق الأوسط "مقتنعة بأن الولايات المتحدة هي القوة الأعظم والوحيدة على الساحة الدولية"¹، وهي صورة لم تتمكن روسيا من الظهور بها خلال تعاملها مع القضية الفلسطينية ومحاولتها للعب بهذه الورقة. ولم تؤهلها العلاقة مع الفلسطينيين لمحاولة الانتقال من دور الوسيط إلى دور الحليف والشريك معهم في العملية السلمية، شأنها شأن الشريك الأمريكي الكامل مع إسرائيل في هذه العملية.

طبيعة الشراكة الفلسطينية – الروسية

يعتمد استشراف مستقبل العلاقات الفلسطينية الروسية والدور المتوقع أن تلعبه روسيا في عملية السلام على واقع العلاقة بين الجانبين الفلسطيني والروسي، وفيما إذا كانت هذه العلاقة قد وصلت إلى مستوى الشراكة الفعلية بينهما. وللوقوف على الحقيقة في هذا الصدد ، لا بد من إدراك جملة من الحقائق والمواقف التي تلقي الضوء على هذا التساؤل.

¹ مصطفى يوسف اللداوي، حماس والنور الروسي المنشود (لندن: 2010-12-21) www.arabtimes.com/portal/article_display.cfm

فروسيا التي تم تحجيم دورها في عملية السلام من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، يمكن أن تسعى لشراكة حقيقية مع الفلسطينيين، لكن ليس على نمط الشراكة الأمريكية الإسرائيلية "إلا أن هذا السعي يظل مرهوناً ب(التكتيكات) التي تملئها الظروف على روسيا بين فترة وأخرى، إلى حد أنها رأت أنه ليس من مصلحتها التدخل خلال عملية الرصاص المصبوب_ التي نفذتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في حربها الأخيرة ضد قطاع غزة في 27 كانون الأول عام 2008". فالبعض يرى أن موسكو أرادت غض الطرف عما فعلته إسرائيل خلال حربها على غزة بهدف تعميق الهوة بين العالمين العربي والإسلامي من جهة، والولايات المتحدة وأصدقائها من جهة أخرى. ورغم ذلك فإنه يسجل لموسكو موقفها من تقرير غولدستون الذي صدر بعد انتهاء تلك الحرب. حيث أيدت قرار مجلس السلم العالمي¹ (World Peace Council) بقبول التقرير، رغم رهان إسرائيل على أن الخلفية الروسية لوزير خارجيتها أفيدور ليبرمان سوف تنتزع موقفاً إلى جانبها من موسكو بهذا الخصوص. "لكن وعلى الرغم من زيارة ليبرمان لروسيا ومحاولة إقناعها بعدم التصويت مع تقرير غولدستون، إلا أنها صوتت مع التقرير".² وهذا يدل على أن روسيا تتحرك في الوقت المناسب وفقاً لمصالحها وأهدافها لملئ الفراغ الإستراتيجي".³ ولا يمكن القول إن ذلك كان سعياً إستراتيجياً للدخول في شراكة حقيقية مع الفلسطينيين أو العرب وهذا ما تتركه إسرائيل جيداً.

¹ مجلس السلم العالمي World Peace Council منظمة ذات طابع اجتماعي شعبي عالمي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بعد ما شهدته معظم المجتمعات في العالم من دمار ومعاناة ولاسيما أوروبا، وقد تأسس المجلس في تشرين الثاني 1950 خلال المؤتمر الثاني لأنصار السلام الذي انعقد في وارسو. وقد أعلن أن مهمته قيادة حركة شعوب العالم للدفاع عن السلام والأمن، ومناهضة التحضير لحرب جديدة وضم ممثلين لجميع شعوب العالم بمن فيهم شعوب المستعمرات التي لم تكن قد نالت استقلالها بعد.

² هنية غانم وآخرون، محرر، المشهد الإسرائيلي 2009، تقرير مدار الإستراتيجي 2010 (رام الله، مؤسسة الأيام)، 57.

³ أحمد الغريب، مستقبل الدور الروسي في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية، 20-7-2009، iraqnursa.qawim.net

مستقبل الدور الروسي في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية

تظهر العديد من علامات الاستفهام حول مستقبل الدور الروسي في القضية الفلسطينية، وفي هذا الصدد يرى كثير من المحللين صعوبة تجاهل ذلك الدور في الشرق الأوسط. ويمكن القول إن الدور الروسي قد لا يُحقق كل الآمال العريضة المُعلقة عليه في ضوء وجود العراقيل التي قد تعوق هذا الدور، وأهمها أن وزن الولايات المتحدة الأمريكية في القضية الفلسطينية أكثر ثقلاً من روسيا الاتحادية. وربما تدرك روسيا أن ميزان القوى التقليدي في المنطقة قد اختل، وأن إسرائيل والولايات المتحدة، لم تعودا قادرتين على القيام بما كانتا تقومان به من نشاطات عسكرية في السابق، إلا أنها تدرك أيضاً أنهما تستطيعان إلحاق الأذى بالمصالح الروسية لهذا سيبقى الدور الروسي ضمن المعطيات القائمة غير مؤثر في إنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وستظل المجاملات عنواناً أساسياً في سياستها الخارجية تجاه عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين¹.

ويتوقع سياسيون ومحللون أن العلاقة الفلسطينية – الروسية ستشهد مزيداً من القوة والتقدم خلال المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين في حال استئنافها، سواء نجحت هذه المفاوضات أم توقفت، وأن موسكو ستلعب دوراً مختلفاً وفاعلاً في إنهاء الصراع بين الجانبين. فيما يرى آخرون أن هذه العلاقة لن يتجاوز مجالها ما هو عليه، وأن روسيا لن يُكتب لها أن تلعب مستقبلاً دوراً محورياً ومركزياً في عملية السلام.

وأصحاب الرأي الأول يرون أن موقف روسيا إيجابي وواعد بمواصلة دعوتها إقامة دولة فلسطينية على حدود عام 1967، في ظل تعطيل إسرائيل للمفاوضات المباشرة مع

¹ قاسم عبد الستار، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/8/5 www.aljazeera.net

الفلسطينيين، التي انطلقت في الثاني من أيلول عام 2010 بسبب عدم موافقتها على وقف _أو على الأقل_ تجسيد الاستيطان في الأراضي الفلسطينية. ففي مقابلة له مع قناة روسيا 24 قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف "إن الإستيطان الإسرائيلي أصبح العقبة الرئيسة على طريق المفاوضات"¹ وأضاف أن روسيا تنوي عقد لقاء للرباعية الدولية لبحث مصير هذه المفاوضات، مشيراً إلى أن بلاده كانت قد طرحت هذه الفكرة منذ فترة عندما تأكدت أن المفاوضات تراوح مكانها وقال "إن واشنطن طلبت منا أن نمنحها مهلة قصيرة، لكن الوقت قد فات، ولم نشهد أي تقدم، وأن هناك الآن تفهماً لدى شركائنا الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة حول ضرورة عقد مثل هذا اللقاء الذي سيشارك فيه أيضاً ممثلون عن الدول العربية ورئاسة جامعة الدول العربية"² وفي ظل المرحلة المتعثرة التي وصلت إليها عملية التسوية جرّاء فشل الأميركيين بالضغط على حكومة نتنياهو لوقف الإستيطان واستئناف المفاوضات، تبدو في الموقف الروسي دلالات تشير إلى أن روسيا تؤكد من جديد على أن تسوية نزاع الشرق الأوسط ضرورة حتمية لا مناص منها فيما يتعلق بقيام دولة فلسطينية. وأن قيام وتأسيس هذه الدولة فكرة تتماشى مع ما توافق عليه القوى الدولية، كما تحظى هذه الفكرة بدعم وتأييد دوليين، وتأخذ شرعيتها من شرعية خريطة الطريق وغيرها من أفكار وخطط وقرارات دولية على صلة بعملية التسوية على أساس قرارات الشرعية الدولية.³

¹. الإستيطان سبب تعثر المفاوضات، صحيفة القدس 1-1-2011، 1.

². المرجع السابق، 34.

³. سها مصطفى، الاعتراف بفلسطين وإن متأخراً، سوريا الغد 21-12-2010، www.souriaalghad.net

ويذهب المحللون إلى أبعد من ذلك بشأن العلاقة الفلسطينية الروسية ودور روسيا المستقبلية في عملية السلام، بعد فشل المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. فقد تم تفسير زيارة ميخائيل مرغيلوف رئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الفيدرالي – مجلس الشيوخ الروسي – إلى فلسطين في كانون أول عام 2010، أنها جاءت استكمالاً لزيارات سابقة قام بها نائب وزير الخارجية الروسي مبعوث السلام الروسي إلى الشرق الأوسط ألكساندر سلطانوف للأراضي الفلسطينية "للتعرف على وجهات النظر في المنطقة، ودراسة الوضع ربما بهدف التحضير لمقترحات روسية يبدو أن الطرف مناسب لإطلاقها لا سيما في ظل توافق دولي على تحميل إسرائيل مسؤولية تعثر التسوية والإقرار الجماعي بفشل وعجز الوسيط الأميركي عن تحريكها ما يعني أن الدول الصديقة لروسيا قد تدعم أية مقترحات روسية لتنشيط العملية السلمية."¹

فبتقدير السياسيين الروس فإن العملية السلمية وصلت طريق مسدود سواء بسبب إسرائيل أو بسبب الولايات المتحدة. وكانت قد ظهرت تحليلات حول تخطيط روسيا لاحتلال مكانة مستقبلية متقدمة ضمن الأطراف الفاعلة على مستوى إدارة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وجاءت هذه التحليلات بناء على النتائج المتواضعة والاقتراحات التي خرجت عن المؤتمر الأكاديمي الدولي في إطار منتدى فالداي "VALDAL" الذي عقد في ماطا يومي 9 و10 كانون الأول عام 2010 الذي كُرس لموضوع المسيرة السلمية في الشرق

¹ forum.rtarabic.com •2010-12-20.

الأوسط،¹ وشاركت فيه مجموعة كبيرة من الباحثين الروس والمتخصصين في شؤون الشرق الأوسط، وعدد كبير من الدارسين والمهتمين بملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، على مستوى بعض دول المنطقة العربية إضافة إلى إسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. علماً بأن قمة حلف الناتو الأخيرة التي عقدت في تشرين الثاني 2010 في لشبونة وقبل انعقاد منتدى فالداي استبعدت أي احتمال لعودة قوية للدبلوماسية الروسية في العملية السلمية على الأقل في المستقبل القريب.²

وخلال زيارته الأولى للأراضي الفلسطينية في 18 كانون الثاني عام 2011 دعا الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف إسرائيل "إلى اتخاذ قرار عقلاني بشأن الاستيطان" ووقف كافة أشكاله في القدس والضفة الغربية والالتزام بالتعهدات ومتطلبات السلام، وضبط النفس والعودة للمفاوضات،³ محذراً "أنه دون قرار إسرائيلي عقلاني حول الاستيطان سوف تتفاقم الأمور ولن يحصل تقدم في عملية السلام، وأن العالم اليوم يدرك ذلك، ومن غير الممكن غض الطرف عن هذا الواقع" مؤكداً أن عملية السلام تمر منذ السنوات الماضية في جمود وهذا بدوره يؤدي إلى تردي الأوضاع وتشجيع الإرهاب. كما دعا إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة موحدة وقابلة للحياة مع القدس الشرقية عاصمة لها، ودعم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني قائلاً "أنا على يقين أنه بظهور الدولة الفلسطينية المستقلة سيكسب الجميع، خصوصاً الفلسطينيين والإسرائيليين، وكافة شعوب الشرق الأوسط، وهذا

¹. تسفي مغين، "روسيا. نظرة جديدة إلى المسيرة السلمية"، صحيفة الحياة الجديدة، مجلة نظرة عليا، 31-12-2010، 15.
². حسن عبد ربه المصري، "ملف الصراع العربي الإسرائيلي بين مالطة ولشبونة"، مجلة إيلاف، العدد 3511 (2010-12-20) www.elaph.com
³. صحيفة القدس الفلسطينية، 19-1-2011، 1.

ما علينا أن نسعى إلى تحقيقه"، معلقاً آمالاً على الجلسة الوزارية المقبلة للرباعية الدولية التي عقدت في 5 شباط عام 2011 كون روسيا هي من دفعت أطراف الرباعية لعقدتها في ميونخ بألمانيا للبحث في كيفية إعادة إطلاق المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، إلا أن هذه الجلسة لم تثمر عن أية قرارات من شأنها استئناف مفاوضات العملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، كما عبر عن دعمه للرئيس الفلسطيني محمود عباس وقال "إن روسيا عبرت عن موقفها حول القضية الفلسطينية في ثمانينات القرن الفائت" (في إشارة منه إلى أن روسيا كانت من أوائل الدول التي اعترفت بدولة فلسطين في العام 1988) كما شدد على "أن روسيا ستبذل جهوداً لعقد مؤتمر موسكو للسلام في الشرق الأوسط، وأن هذا المؤتمر يمكن أن ينعقد في الظروف الملائمة وعندما يكون هناك تقدم في المفاوضات، وأن لا يكون لقاء من أجل اللقاء وبالتالي لن يكون له معنى".¹

ووصفت زيارة ميدفيديف بأنها تاريخية ومميزة كونها كانت زيارة لمدينة فلسطينية تاريخية هي أريحا التي احتفلت بذكرى مرور عشرة آلاف سنة على تأسيسها، وأنها أول زيارة لرئيس روسي للمنطقة والأراضي الفلسطينية لا ترتبط في زيارة لدولة مجاورة في إشارة إلى عدم زيارته لإسرائيل رغم مصالح الحيوية معها. وهذا يعني اعترافاً عملياً بمستقبل فلسطين دولة حرة مستقلة.² وقد أثارت زيارة الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف للأراضي الفلسطينية وإلغاء زيارته لإسرائيل غضب المسؤولين الإسرائيليين. وذكرت

1. صحيفة الحياة الفلسطينية، 19-1-2011-1-4.

2. المرجع السابق، 4.

الصحف الاسرائيلية أن حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو تشعر بالغضب جراء عزم ميدفيديف زيارة الضفة الغربية والأردن وإلغاء زيارته لنل أبيب.

وتولي روسيا الاتحادية موضوع المسيرة السلمية اهتماماً كبيراً وترى أن الموضوع الفلسطيني هو الموضوع المركزي في الشرق الأوسط، وتعتبره عنصراً أساسياً في عدم الاستقرار الدولي والمؤثر على تعاطف الميل (الراديكالي) في العالم الإسلامي.

أما أصحاب الرأي الثاني من السياسيين والمحليين فإنهم يرون أن دور روسيا في عملية السلام مستقبلاً، وعلاقتها مع الفلسطينيين في حال نجاح المفاوضات أو فشلها لن يحصل عليه أي تغيير جوهري. ففي تقرير لصحيفة الأهرام المصرية نشرته بتاريخ 20-11-2010 فيما يتعلق بمستقبل العلاقات الفلسطينية الروسية والدور المتوقع لموسكو في عملية السلام ذكر التقرير أن هذا الدور ومن المنظور الإسرائيلي لا يعدو كونه شكلياً ولا قيمة له. وعبر عن ذلك أفيدور ليبرمان وزير الخارجية الإسرائيلية بأن "ما يقال حول الوساطة الروسية في عملية السلام مجرد ثرثرة. صحيح أن مشاركة روسيا في الرباعية الدولية تتسم بالنشاط. إلا أن الجزء الأكبر مما ناقشه مع ممثليها من قضايا لا علاقة له بالقضية الفلسطينية. فلدينا المطاعم والفنادق الفاخرة".¹

والرؤية الإسرائيلية تتوافق مع بعض التوجهات لمسؤولين روس لهم وزنهم السياسي ولديهم اطلاع على الرؤية الروسية بخصوص مستقبل علاقة موسكو مع الفلسطينيين وقضيتهم وبحسب ما جاء في تصريحات فلاديمير جيرينوفسكي نائب رئيس مجلس الدوما

الروسي الذي طالما أعلن عن تأييده للعرب وقضاياهم، فقد صرح من موسكو في تشرين الثاني عام 2010 بعد فشل المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية "أن القضية الفلسطينية لا حل لها، وأنه يجب قبول الأمر الواقع وتناسي مسألة إنشاء دولة فلسطينية مستقلة. وأن إسرائيل لها الحق في ترسيم حدودها عند أي منطقة تريدها وأن في العالم العربي متسعاً للفلسطينيين"، ولدى زيارة له للقدس أعلن "أن القدس الموحدة هي عاصمة الدولة العبرية ولا حق فيها للفلسطينيين".¹

إن دور روسيا في عملية السلام والعلاقة الفلسطينية الروسية لم تصل إلى مستوى الشراكة الفعلية كما في النموذج الإسرائيلي الأمريكي، بما يؤدي إلى مساهمتها الفعلية في إنهاء النزاع وإقامة دولة فلسطينية مستقلة ترفضها إسرائيل، قال عنها بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي "هذا هو الخطر الذي تنطوي عليه فكرة إقامة دولة فلسطينية في الشرق الأوسط، ليس المقصود التهديد الطبيعي الواضح على الوجود الإسرائيلي من الدولة الفلسطينية في مناطق الضفة الغربية وغزة، ولا من الخطر على السلام والاستقرار في الشرق الأوسط نفسه فحسب، إنما التأثير الحتمي لتأسيس مثل هذه الدولة على ازدياد المطالب بالاستقلال من جانب أقليات قومية في أنحاء العالم".²

1. سامي عمارة، وكالة أخبار الشرق الأوسط (بيروت: صحيفة الأهرام المصرية 23-1-2011).

2. بنيامين نتياهو، مكان تحت الشمس، ترجمة محمد عوده الدويري (عمان: دار الجليل للنشر، 1998)، 184.

الخلاصة

تناولت هذه الدراسة موضوع العلاقات الفلسطينية الروسية وانعكاسها على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، وتكمن أهمية هذه الدراسة في الوقوف على حقيقة وأهمية الدور الروسي في حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وما يعول على هذا الدور لحل القضية الفلسطينية، كما هدفت إلى الوصول لإجابات على تساؤلات وعلامات استفهام كثيرة حول مستقبل الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وأي آمال يمكن أن تُعلق على هذا الدور، ومدى إمكانية استفادة الفلسطينيين من القوة الروسية كدولة كبرى في دعم مواقفهم خلال صراعهم مع إسرائيل لاستعادة حقوقهم. وخلصت الدراسة إلى أن هناك عوامل عديدة حالت دون لعب روسيا دوراً مركزياً ومؤثراً في الشرق الأوسط فيما يتعلق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وهي عوامل ترتبط بمصالح روسيا الداخلية ومصالحها في المنطقة العربية وعلى الساحة الدولية.

فالعلاقات الفلسطينية – الروسية مرت بعدة مراحل بدأت منذ عهد روسيا القيصرية التي كان لها أطماع في الإمبراطورية العثمانية، والتي كانت فلسطين ضمن نفوذها، حيث دخلت روسيا القيصرية طرفاً في معاهدة سايكس بيكو لتقسيم الدول العربية بين الدول الكبرى – بريطانيا وفرنسا وروسيا – ومرحلة الثورة البلشفية التي أسست لقيام الاتحاد السوفيتي السابق عام 1917، تلا ذلك قيام دولة إسرائيل واعتراف الإتحاد السوفيتي بها، وتأييده قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وفي المرحلة التي تلت حرب حزيران

عام 1967 تبلورت علاقة جديدة بين الاتحاد السوفيتي السابق ومنظمة التحرير الفلسطينية التي مثلت الفلسطينيين، انتهاء بالعلاقة بين الفلسطينيين ممثلين بكيان جديد وهو السلطة الوطنية الفلسطينية التي أقيمت عام 1994 ودولة روسيا الاتحادية التي ورثت الاتحاد السوفيتي بعد انهياره عام 1991.

كذلك قامت علاقات فلسطينية – روسية منذ إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، فعلى المستوى السياسي، ساندت روسيا الاتحادية الفلسطينيين وقدمت لهم الدعم على المستويين الداخلي والخارجي، وواصلت موسكو الدعوة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة بعاصمتها القدس الشرقية إلى جانب دولة إسرائيل. وصوتت إلى جانب العديد من القرارات الصادرة عن مجلس الأمن والأمم المتحدة لصالح الفلسطينيين. إلا أن موسكو لم يكن لها ذلك الدور الفاعل في العملية السلمية، فرغم علاقة الصداقة التاريخية مع الفلسطينيين لم تتمكن روسيا من لعب دور مركزي ومحوري في تلك العملية جراء هيمنة الولايات المتحدة عليها. وعلى المستوى الاقتصادي قدمت روسيا الاتحادية للسلطة الوطنية الفلسطينية مساعدات مادية وعينية، كما وقع الطرفان الفلسطيني والروسي عدة اتفاقيات في الفترة ما بين عامي 1991-2011 شملت مجالات تعاون ثقافية وتعليمية وإعلامية ومجالي الزراعة والرياضة.

وبينت الدراسة إلى أن هناك أسباباً عديدة تمنع روسيا الاتحادية من التدخل بشكل فاعل ومؤثر في القضية الفلسطينية يؤدي إلى حصول الفلسطينيين على حقوقهم المشروعة بإقامة دولتهم المستقلة. وأكثر ما ترتبط هذه الأسباب بعلاقة روسيا مع الولايات المتحدة

وإسرائيل والوزن الروسي على الساحة الدولية، حيث ليس من السهل على روسيا أن تلعب دور القطب العالمي الثاني في مواجهة القطب الأوحده وهو الولايات المتحدة.

وفيما يتعلق بانعكاس العلاقات الفلسطينية - الروسية على العملية السلمية، أوضحت الدراسة مجموعة من المحددات التي حكمت الدور الروسي في هذه العملية، وتمثلت بمحددات داخلية على رأسها الوضع الاقتصادي الذي ضعُف بعد زوال الاتحاد السوفيتي، والمحاولات الروسية المستمرة لإعادة تأهيله وإصلاحه، الأمر الذي كان له أثر بالغ في علاقة روسيا مع غيرها من الدول التي تعاملت معها حسب ما تقتضيه مصلحتها. أما المحدد الثاني فقد ارتبط برغبة موسكو في استعادة قوتها العسكرية التي فُقدت بسبب انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث إنها وخلال السنوات الأخيرة ضاعفت اهتمامها وتركيزها على السلاح النووي الذي تمتلكه حفاظاً على أمنها على خارطة العالم وأجرت تغييرات في بنيتها العسكرية، فيما المتغير الداخلي الأخير سياسي ويتعلق بوضع الحكومة الروسية والتصورات حول رسم سياستها خاصة في عهدي فلاديمير بوتين وديمتري ميدفيديف.

كما خضعت السياسة الخارجية الروسية لمحددات خارجية حكمت دورها بخصوص القضية الفلسطينية، وعلى رأس هذه المحددات كان التأثير الأمريكي على السياسة الروسية، وانقياد قرارات موسكو للسياسة الأمريكية في إطار إستراتيجيتها الحفاظ على مصالحها مع الغرب، حيث كان لهذه السياسة التأثير البارز على موقف روسيا من

الصراع في منطقة الشرق الأوسط. ومن تلك المحددات أيضاً تأثير اللوبي اليهودي في السياسة الروسية، والعلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية الوثيقة بين روسيا وإسرائيل مما انعكس بشكل كبير على موقف موسكو من القضية الفلسطينية. وهناك محدد آخر يتعلق بالمصالح الروسية في الشرق الأوسط بشكل عام، والمنطقة العربية على وجه الخصوص، وكل ذلك كان له تأثير على دور روسيا في العملية السلمية وإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وأوضحت الدراسة أن مصالح روسيا الدولية والإقليمية فرضت عليها ما دأبت على وصفه بسياسة التوازن في تعاملها مع العملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وأن ارتباطها بعلاقات وثيقة مع إسرائيل، وتوجُّها لفتح آفاق تعاون مع الغرب والولايات المتحدة، أضعف من موقفها الذي يطمح ويأمل الفلسطينيون أن يكون مناصراً لهم مقابل موقف الولايات المتحدة الداعم بالمطلق لإسرائيل.

صحيح إن العلاقات الفلسطينية الروسية لم ترق إلى مستوى الشراكة الإستراتيجية الفعلية، التي تتيح لموسكو التدخل كشريك فعلي داعم للفلسطينيين في العملية السلمية. إلا أن ذلك يجب أن لا يُفقد الفلسطينيين الثقة بالموقف الروسي، إلى درجة عدم التعويل عليه في مساندهم خلال صراعهم مع الإسرائيليين.

كما يجب عدم التفريط بالحضور الروسي على ساحة الصراع مهما كان حجمه، فالفلسطينيون بحاجة لأي دعم وأي مساندة من أي طرف أو أي جهة، بغض النظر عن قوة هذا الدعم حيث ليس لديهم الكثير من الخيارات. وأن لا يتوقفوا عن مواصلة الجهود

والسعي لتمتين علاقات الفلسطينيين مع روسيا للاستفادة من دعمها لاقتصادهم ومؤسساتهم، وإفساح المجال أمام موسكو للاستثمار وإقامة المشاريع في فلسطين بما يخدم مصالح الطرفين، ويشجع موسكو على تطوير علاقاتها مع الجانب الفلسطيني، وتقديم التسهيلات للشركات الروسية للاستثمار في الأراضي الفلسطينية بغض النظر عن فاعلية الدور الروسي في العملية السلمية. كما أن أمام الفلسطينيين أكثر من فرصة ومجال لبناء تحالف مجتمعي عريض بين الشعبين الفلسطيني والروسي، عن طريق آلاف الطلاب من خريجي الجامعات والمعاهد الروسية، ومئات الطلبة الذين ما زالوا يتلقون تعليمهم في هذه الجامعات، حيث يمكنهم مد العديد من جسور التعاون المجتمعية بين الجانبين الفلسطيني والروسي في العديد من المجالات واليادين، مما سيساهم في بناء أولى لبنات شراكة مع روسيا. وأن بإمكان الفلسطينيين وحسب إمكانياتهم ومقدراتهم الدبلوماسية المساهمة في بتمتين العلاقات العربية الروسية، فالحضور الروسي بقوة على الساحة العربية والذي تعارضه الولايات المتحدة وإسرائيل، يمكن أن يؤدي إلى أن تعيد الدولتان النظر في مواقفهما بشأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، في ظل وجود قوة منافسة بشكل كلي أو جزئي في المنطقة.

كما أن من مصلحة الفلسطينيين السعي الحثيث للبحث عن مصادر أو تكتلات إقليمية ودولية أخرى تناصر القضية الفلسطينية، من منطلق عدالة مطالب الفلسطينيين باستعادة حقوقهم والمستندة لتأييد الشرعية الدولية وقراراتها. فالصراع في منطقة الشرق الأوسط لا يقتصر على الفلسطينيين والإسرائيليين فلسوريا ولبنان أراض تحتلها إسرائيل، وبحكم

علاقة الصداقة التقليدية وتبادل المصالح بين سوريا وروسيا، يمكن للفلسطينيين اللعب على هذا الوتر والسعي لدى روسيا لتدويل الصراع، وأن تشمل العملية السلمية كلاً من سوريا ولبنان، حيث يمكن لذلك أن يُغير من آلية التعامل مع القضية الفلسطينية التي تقردت الولايات المتحدة بإدارتها، وإشراك دول وقوى أخرى فيها. ومن هذا المنطلق يرى محللون أن دور روسيا في العملية السلمية يمكن أن يزداد قوة، في حال اتخاذ مصر بعد نجاح ثورة 25 كانون الثاني_ يناير العام 2011 التي أطاحت بالرئيس المصري السابق حسني مبارك، استراتيجية جديدة بالتوجه نحو روسيا وتشكيل ضغط على الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل بما يحرك هذه العملية، وذلك ما أشار له نيكولاي تيخومиров عميد كلية بالمعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية الروسية" أعتقد أن أي حكومة مصرية جديدة ستلجأ للتعاون بشأن الصراع العربي الإسرائيلي مع الدول الأجنبية ومنها روسيا، باعتبارها قوة لها وزنها في العالم" فيما ذهب المستشرق الروسي إلكسي فاسيلييف إلى أبعد من ذلك حين صرح بعد نجاح الثورة المصرية" إن السلطة الجديدة في مصر ستكون بالتأكيد معادية لأمريكا".¹

ولا ينبغي لآمال الفلسطينيين وتطلعاتهم بدور روسي فاعل أن تتوقف عند حقيقة عدم تمكن موسكو من لعب الدور المنشود في عملية السلام. ومن صالحهم التمسك بالعلاقة مع روسيا المشاركة في عضوية الرباعية، والتي لها حضور في مجلس الأمن والمنظمات الدولية، ومواصلة السعي لتمتين عرى هذه العلاقة، حيث إن السياسة الدولية دائمة التغيير

وتخضع في كثير من الأحوال والظروف للمستجدات، وربما تحتل روسيا ذات يوم الموقع العالمي والدور الذي كان يلعبه ويتمتع به الاتحاد السوفيتي السابق على الساحة الدولية. وفي هذه الحالة يمكن أن تدخل روسيا ومن منطلق القوة في شراكة فعلية مع الدول العربية والفلسطينيين، مما سيساعد على حل القضية الفلسطينية، وإنهاء تفرد الولايات المتحدة المساندة بالمطلق لإسرائيل بملف العملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وقد ثبت على مر التاريخ أن السياسة الدولية الخارجية لا تخضع للصدقة الشخصية بين الزعماء أو الشعوب. فكثيراً ما تحوّل الأصدقاء إلى خصوم والأعداء إلى حلفاء، فعلى الفلسطينيين أن يدركوا أن صداقتهم مع روسيا ترتبط بمقدار ما تحقق هذه الصداقة من مصالح لروسيا، وهنا تكمن وتبرز الأهمية القصوى لعلاقات متينة تربط العالم العربي المعني بحل القضية الفلسطينية بروسيا، فبمقدار ما تكون هذه العلاقة قوية بمقدار ما يكون التدخل الروسي في حل هذه القضية قوياً.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

الكتب

- أبو دية، حسن عبد الرحمن. *زلزال فلسطين 1798-1945*. رام الله: 1998.
- أحمدوف، إسكندر. *الاتحاد السوفيتي والعالم العربي*. مجموعة من الوثائق السياسية ترجمة خيرى الضامن. موسكو: دار التقدم، 1978.
- ارشيدات، عصام، داود عبيدات، حسين محافظة، بسام القرعان. *دراسات في القضية الفلسطينية*. الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، 1992.
- إكسي. فاسيلييف. *روسيا في الشرقين الأوسط والأدنى من الرسولية إلى البراغماتية*، موسكو. ترجمة المركز العربي للصحافة والنشر. القاهرة: 199، دن.
- الأمارة، لمى مضر. *الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.
- — —. *المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003*. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2005.
- بريماكوف، يفغيني وعبد الله حسن (مترجم). *حقول ألغام السياسة*، موسكو 2008. دمشق: دار الفكر.
- توما، أميل. *يوميات شعب 30 عاماً على الاتحاد*. حيفا: مطبعة الاتحاد التعاونية، 1974.
- الجراد، خلف محمد. *الأبعاد الفكرية والعلمية- التقنية للصراع العربي الصهيوني*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- الحاج، ماجد. *الشتات الروسي في إسرائيل*. رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2008.
- حجازي، عرفات. *الاتحاد السوفيتي زمن الإنهيار والتخلي عن العرب وقضية فلسطين*. عمان: دار الصباح للصحافة والنشر، 1991.
- حجاوي، سلافة. *في التاريخ السياسي لفلسطين*. فلسطين المكان، الجزء الأول. فلسطين: 2000.
- الدجاني، أحمد صدقي وآخرون. *منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي الأوروبي*. بيروت: مؤسسة عبد الحميد شومان، 2001.
- سرور، صالح عمر. *الدبلوماسية الفلسطينية تجاه القوى المؤثرة في عملية السلام منذ أوصلو*. رسالة ماجستير. بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2003.
- سليم، محمد السيد. *تحليل السياسة الخارجية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998.

- الشيخ، نورهان. *صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية - الروسية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
- شيفتسوف، ليليا. *روسيا بوتين*. ترجمة بسام شيحا. بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006.
- صالح، جهاد. *روسيا وفلسطين، العلاقات الروحية والثقافية من القرن التاسع الميلادي إلى بداية القرن العشرين*. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، 2006.
- صايغ، يزيد. *الفلسطينيون في الحرب الباردة*. نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، 1997.
- طالب، عدوان. *المساعدات الخارجية للضفة الغربية وقطاع غزة. دراسة حالة المساعدات الألمانية*. رسالة ماجستير. بيرزيت: جامعة بيرزيت، 1997.
- ظاهر، فارس. *موقف الرباعية الدولية من القضية الفلسطينية*. نابلس: منشورات جامعة النجاح، 2009.
- علي، جمال سلامه. *السياسة بين الأمم - النظرية السياسية وقضايا الفكر السياسي*. بيروت: النهضة العربية، 2005.
- الفراء، محمد. *دراسات في القضية الفلسطينية*. الموسوعة الفلسطينية المجلد السادس، القسم الثاني. بيروت: 1990.
- فؤاد عبد الله، ثناء. *ماذا بعد انهيار عملية التسوية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.
- كنن، جورج. *العلاقات الروسية - العربية في القرن العشرين وآفاقها*. أبو ظبي: منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2001.
- كيسيليف، العلاقات الدولية في الشرقين الأدنى والأوسط وسياسة روسيا على عتبة القرن الحادي والعشرين. دمشق: دار المساعدة السورية، 2002.
- مجموعة باحثين عرب وروس ودار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر (مترجم). *العلاقات الدولية في الشرقين الأدنى والأوسط وسياسة روسيا على عتبة القرن الحادي والعشرين*. ترجمة. دمشق: أكاديمية العلوم الروسية - معهد الاستشراف، 2002.
- مجموعة من المؤلفين. *النار والجليد - الإمبراطورية الحمراء من المهد إلى اللاحد 1917-1992*. بيروت: دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، 1992.
- محاميد، عمر. *فلسطين - روسيا، ألف عام من العلاقات الأدبية الثقافية، فكرة فلسطين في الثقافة والأدب الروسي، القرن العاشر - القرن العشرين، الرحلة الروسية إلى فلسطين. القدس: المطبعة العربية الحديثة، 2008.*
- — —. *صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية - الفلسطينية في فلسطين بين عامي 1882-1914*. الطيبة، مركز إحياء التراث العربي، 1988.
- ملوكي، سفيان. *التوجهات المختلفة في الفكر الاستراتيجي الروسي*. الجزائر: جامعة بوضياف، 2008.
- مهنا، محمد نصر. *مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي 1945-1967*. مصر: دار المعارف، 1979.

- موريس، بيني. *ضحايا الصالحين، تاريخ من الصراع العربي الإسرائيلي 1881—1991*. ميتشغان: معهد الشرق الأوسط للدراسات، 2000.
- ناصر يوسف، حتى. *القوى الخمس الكبرى والوطن العربي*، دراسة مستقبلية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.
- نتنياهو، بنيامين. *مكان تحت الشمس*. ترجمة محمد عوده الدويري. عمان: دار الجليل للنشر، 1998.
- نصولي، منى، جانيت ساروفين، سناء حمودة. *قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، 1999-2004*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (2007).
- نوفل، سيد. *العمل العربي المشترك في المجال الدولي*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية في جامعة الدول العربية، 1971.
- هاسنر، بيير، وجوستان فاييس. *واشنطن والعالم معضلة القوة العظمى*، ترجمة د. قاسم مقداد. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2008.
- هانتر، ا. هـ. *التورط السوفيتي في الشرق الأوسط*. ترجمة جبر مروان. بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية، انترناشنال سنتر، 1971.
- هرثيل، أيسر. *منجل في النجمة السادسة — أضواء على أعمال التجسس السوفيتية في إسرائيل*. ترجمة بدر عقلي. عمان: دار الجليل للنشر، 1989.
- هيكل، محمد حسنين. *المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل — سلام الأوهام*. القاهرة: دار الشروق، 2000.
- — —. *المقالات اليابانية*. القاهرة: دار الشروق، 1997.

دوريات

- أنتونينكو، أوكسانا. "السياسة الروسية في الشرق الأوسط". *مجلة الشرق الأوسط*، عدد 11448، (2008). www.aawsat.com
- إنكليزس، سنثيا. "موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير 1947-1982". *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد 148-149، (1985).
- الأصفهاني، نبيه. "دور روسيا الاتحادية في منطقة الشرق الأوسط". *مجلة السياسة الدولية*، عدد 145، (2001).
- الخميسي، منى. "في روسيا موقفان من قضيتنا الفلسطينية أم ثلاثة". *مجلة السياسات الدولية*، عدد 119، (2001).
- سميسم، حميدة. "الدعاية الصهيونية في جمهورية روسيا الاتحادية". *مجلة المستقبل العربي*، عدد 723، (2006).
- الثوبكي، بلال. "سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية". *مجلة دراسات شرق أوسطية*، العددان 34+35، (شتاء وربيع 2006).

- الشيخ، نورهان. "محددات وآفاق العلاقات الروسية العربية في العقد الثاني من القرن العشرين." *مجلة دراسات شرق أوسطية*، عدد 55، (2010).
- — —. "السياسة الروسية في المنطقة العربية، المنطلقات وحدود الدور." *مجلة شؤون عربية*، عدد 129، (2007).
- — —. "السياسة الروسية وحدود الدور في الشرق الأوسط." *مجلة دراسات شرق أوسطية*، عدد 39، (2007).
- — —. "روسيا والاتحاد الأوروبي، صراع الطاقة والمكانة." *مجلة السياسة الأوروبية*، عدد 164، (2006).
- عبد القادر محمد، فهمي. "روسيا الاتحادية والوطن العربي: دراسة مقارنة للسلوك السياسي الخارجي السوفيتي حيال المنطقة العربية." *مجلة شؤون عربية*، عدد 105، (2001).
- العزي، خالد ممدوح. *العلاقة الروسية الإسرائيلية الجديدة. الحوار المتمدن*، العدد 3126، 2010، www.ahewar.org
- عطوان، خضر عباس. "سياسة روسيا العربية والاستقرار في النظام الدولي." *المجلة العربية للعلوم السياسية*، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 20، (2008).
- لكريني، إدريس. "القضية الفلسطينية والمحيط الدولي المتغير." *الحوار المتمدن*، عدد 1574، (2006). www.ahewar.org
- ليسافوي، نيقولاوي وعمر محاميد (تلخيص). "فلسطين وبلاد الشام في وثائق وزارة الخارجية الروسية، روسيا في الأرض المقدسة." *مجلة الشرق الأوسط*، (2001).
- المصري، حسن عبد ربه. "ملف الصراع العربي الإسرائيلي بين مالطة ولشبونة." *مجلة ايلاف*، لندن، عدد 3511، (2010-12-20). www.elaph.com.

تقارير

- أبو الرب، محمود. *التقرير ربع السنوي الثالث 2009- المنحة الروسية 20 مليون دولار*. رام الله: ديوان الرقابة المالية والإدارية الفلسطيني، تشرين أول 2009.
- حبيب، كمال. *تقرير الأهرام الإستراتيجي* acps.ahram.org
- صالح، محسن محمد، تحرير. *القضية الفلسطينية والوضع الدولي، التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009*. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010.
- — —. *القضية الفلسطينية والوضع الدولي، التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008*. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.
- — —. *التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007*. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008.

— — —. — — —، التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007.

— — — وبشير موسى نافع، تحرير. القضية الفلسطينية والوضع الدولي، التقرير الإستراتيجي الفلسطيني لسنة 2005. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2006.

غانم، هنيذة، أيمن يوسف، مهند مصطفى، أنطوان شلحت، أمل جمال، أمطانيس شحادة، نبيل الصالح، حسام جريس. تحرير، المشهد الإسرائيلي 2009، تقرير مدار الإستراتيجي 2010. رام الله: مؤسسة الأيام، آذار 2010.

الكيالي، عبد الحميد، تحرير. قراءات إسرائيلية إستراتيجية، التقرير الإستراتيجي الصادر عن معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، تشرين الأول، 2008، ترجمة عدنان أبو عامر. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.

ندوات

عبيد القدومي، أحمد. صحفي فلسطيني. لعبة الكبار في العملية السلمية. محاضرة في جامعة النجاح الوطنية. نابلس، 2006.

مقابلات

مقابلات أجراها الباحث

مقابلة مع أحد مسؤولي إدارة أوروبا في وزارة الخارجية الفلسطينية، البيرة: 27-10-2010.
مقابلة مع أحد مسؤولي دائرة المشاريع الممولة من المانحين، في الإدارة العامة للعلاقات الدولية، في وزارة المالية الفلسطينية، البيرة: 3-11-2010.

مقابلة مع أحد مسؤولي وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله: 1-12-2010.

مقابلة مع أحد مسؤولي وزارة الاقتصاد الوطني الفلسطيني، رام الله: 30-11-2010.

مقابلات تلفزيونية

مقابلة مع قناة الجزيرة القطرية. 24-3-2008. www.aljazeera.net

الصحف

الاتحاد الإماراتية www.alittihad.ae

الأهرام المصرية 23-1-2011.

الأيام الفلسطينية 2010-11-2010.

الحياة الجديدة الفلسطينية 19-1-2011.

الحياة الجديدة الفلسطينية 31-12-2010.

الحياة الجديدة الفلسطينية 11-11-2010.

القدس الفلسطينية 1-1-2011.

القدس الفلسطينية 5-11-2010.

القدس الفلسطينية 18-11-2009.

الوطن البحرينية 15-7-2006 www.alwatannews.net

وكالات الأنباء

العهد للإعلام – فلسطين، 31-12-2010، www.alaahd.com

فلسطين الإعلامية arabic.pnn.ps

نوفوستي الروسية، 2008، ar.rian.ru

معاً الإخبارية الفلسطينية www.maannews.ne

وفا الفلسطينية للأنباء www.wafa.pna.net

مواقع إلكترونية

أبو عبا، سعيد. *العلاقات الفلسطينية – الروسية*. فلسطين: منشورات جمعية أصدقاء وخريجي جامعات

ومعاهد رابطة الدول المستقلة في فلسطين 2008، pulpit.alwatanvoice.com

الروسان، محمد أحمد. 2010، www.iwffo.org

روسيا اليوم arabic.rt.com

السفارة الفلسطينية في موسكو www.palestine.ru

الشيخ، نورهان. ملف الأهرام الإستراتيجي، eg.acpss.ahram.org

موقع صورة www.sora.co.il

عبد الحكيم، حلاسي. *الدور الأوروبي في عملية التسوية 2010* www.oppc.pna.net

عبد الحكيم، حلاسي. دنيا الرأي 20-8-2006، www.alwatanvoice.com

عبد الستار، قاسم. مركز الجزيرة للدراسات، 2009، www.aljazeera.net

الغريب، أحمد. مستقبل الدور الروسي في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية، 20/7/2009،

iraqnursa.qawim.net

شبكة فلسطين المستقبل للإعلام palestinefuture.net

موقع القضية الفلسطينية www.palintefada.com

اللداوي، مصطفى يوسف. عرب تايمز، 2010، www.arabtimes.com

المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، 2010، www.malaf.info

مصطفى، سها. *الاعتراف بفلسطين وإن متأخرًا*. سوريا الغد 21-12-2010

www.souriaalghad.net

apps.who.int 2010 منظمة الصحة العالمية
 arbsys.net/vb/.index.php/showthread.php1958 شبكة النظم العربية
 www.alukah.net منور، هشام. العلاقة الروسية الإسرائيلية - جدل المصالح والمنافع
 وزارة الثقافة الفلسطينية www.moc.gov.ps
 eng.diafuture.ru/board International Youth Center
 www.aljazeera.net

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

- Galia, Golan. Yom Kippur and after the Soviet Union and the Middle East crisis, Cambridge University Press, 1977
 Caldwell, McGraw, and others. Soviet-American relations in the 1980s, New York, McGraw-Hill, 1981
 Moran, John. From Garrison state to nation-state, Praeger, London, 2002
 Ro'I, Frank. Yaacov, In muslim Eurasia, Cass- New York, 2004
 Hopf, Ted. Understandings of Russian foreign policy, University Press, Pennsylvania State, 1999
 V. Posuvaliuk, peace and Security in the Middle East- a Feasible Goal, Minneapolis-Moscow, 1998, <http://dlib.eastview.com/browe/doc/1967265>
 Naumkin. Russia's Relations with Arab World, The Emirates Center for Strategic and Vitaly, Abu Dhabi Research, 2008